الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة قسنطينة -02-



كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية

قسم التاريخ

الرقم التسلسلي:..........................

رقم التسجيل:............................

الـصـنـاعـات والحرف في العصر الزيانـي

(633-962هـ/1236-1554م)

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في تاريخ بلاد المغرب الحضاري في العصر الوسيط

إعداد الطالب:

حسام بزاز

إشراف الأستاذ:

د. عبد العزيز فيلالي

السنة الجامعية: 2013– 2014


بسم الله الرحمن الرحيم



كلمة شكر و عرفان

الحمد لله أهل الثناء المنفرد برداء الكبرياء و المتوحد بصفة المجد و العلاء ، و أزكى الصلوات

و التسليم على سيدنا محمد خاتم الأنبياء و المرسلين أما بعد:

إنه لمن الواجب على السالك في دروب الحياة و المعرفة أن

يذكر بعد النجاح ذوي الفضل عليه إعترافا منه بالجميل ومن هذا المنطلق لايسعني

إلا أن أتقدم بخالص عبارات العرفان و التقدير إلى الأستاذ الدكتور" عبد العزيز فيلالي"

الذي وافق الإشراف على هذا العمل وتحمل مشقته، فكان نعم المشرف إذ لم يبخل علي

بنصائحه وتوجيهاته القيمة.

و لا يفوتني في هذا المقام أن أقدم شكري الجزيل إلى كل من الأستاذة الدكتورة: "بوبة مجاني"

والأستاذة "سهام دحماني" والأستاذة " وردة العابد" وإلى الأخ الأستاذ" أحمد بوعنينبة"

دون أن أنسى الصديق الأستاذ" عبد الرحمان بوقارة" من جامعة الحاج لخضر بباتنة.

عرفانا مني على ما قدموه لي من عون مادي و معنوي.

وشكري موصول أيضا إلى كل من مد لي يد العون في سبيل إنجاز هذا العمل سواء من قريب أو من

بعيد

ع/ حسام

قـــائـــمة المـــختصـــرات

تح. تحقيق

تر. ترجمة

ج: جزء

ص: صفحة

م: ميلادي

هـــ: هجري

ت: توفي

ق: قرن

ط: طبعة

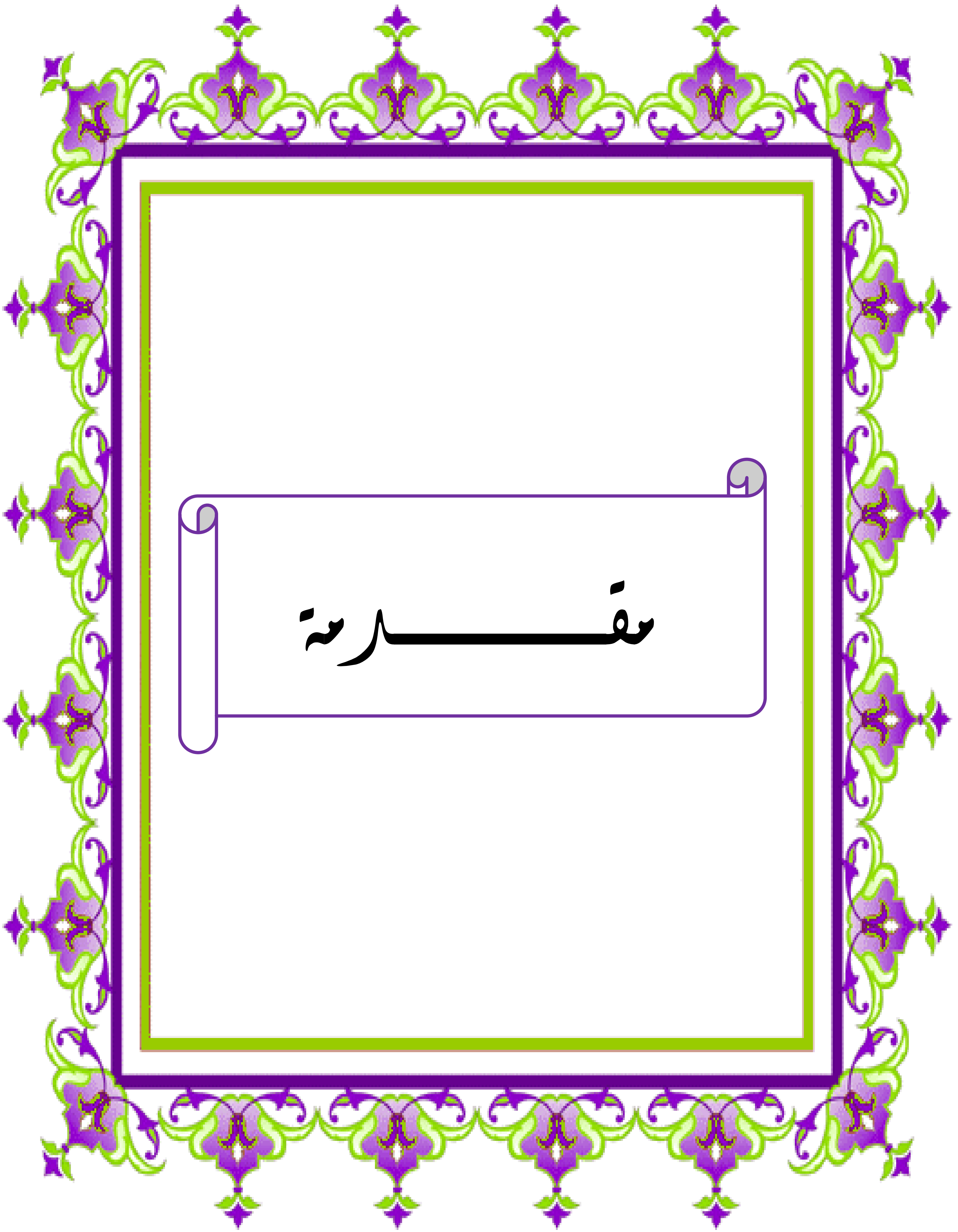
د.ط: دون طبعة

د.م: دون مكان النشر

د.ت: دون تاريخ

P: الصفحة

Op.cit: المرجع السابق.


مقـــــــدمة

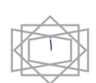
مقدمـــة:

- التعريف بالموضوع وأهميته:

يحتل المغرب الأوسط موقعا إستراتجيا هاما، فهو يربط المغربين الأدنى والأقصى هذا من جهة، ومن جهة أخرى يشكل همزة وصل بين ممالك السودان الغربي- وما تشكله كمصدر للمواد الأولية- ودول جنوب أوروبا، هذا التميز جعل من المغرب الأوسط مركزا مهما للنشاط الاقتصادي- زراعة، وصناعة، وتجارة- في المغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط، رغم الصراعات السياسية والتحولات الاجتماعية التي عرفها هذا الاقليم، سيما في العصر الزياني الذي عرف نموا اقتصاديا منقطع النظير، حيث أصبحت تلمسان تحتل الريادة في المجال الصناعي، نظرا للتطور والرقي الذي بلغته مختلف الحرف والصناعات، بفعل الاهتمام الكبير الذي لقيه هذا النشاط من قبل سلاطين بني عبد الواد، وهو ما انعكس على باقي النشاطات الإقتصادية في الدولة الزيانية.

- أسباب إختيار الموضوع:

إن الدارس لتاريخ المغرب الأوسط في العصر الوسيط يلاحظ قلة الدراسات الإقتصادية المتخصصة في هذا المجال، فجل الدراسات التي قدمها الباحثون في تاريخ المغرب الإسلامي عامة والمغرب الأوسط على وجه الخصوص، عادة ما تركز على الجوانب السياسية، العسكرية، الاجتماعية والثقافية، فحتى إن وجدت دراسات اقتصادية فهي تعود إلى مستشرقين غربيين، ركزوا جل اهتمامهم على العلاقات التي تربط أوروبا ببلاد المغرب الإسلامي- المغربين الأدنى والأقصى-، وهو ما كان دافعا قويا وعاملا مشجعا على اختياري لموضوع: "الصناعات والحرف في العصر الزياني 633هـ/1236م-962هـ/1554م"، رغبة مني في التعرف على مكانة الصناعات والحرف ودورها في الحياة الإقتصادية بدولة بني عبد الواد، ومعرفة مدى انتشارها في الوسط الإجتماعي، وتأثيرها على العلاقات السياسية التي تربطها مع جارتيها الحفصية والمرينية.



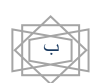
– **الدراسات السابقة للموضوع:**

قبل اختياري لهذا الموضوع عملت على تحري ما هو موجود من دراسات سابقة، فوجدت أن الموضوع لم يحظ بعد بالتفاتة جادة من طرف الباحثين والمهتمين بتاريخ بني زيان، وينهض دليلا على ذلك ندرة الدراسات المستقلة والشاملة للموضوع من كل جوانبه، اللّهم بعض الإشارات العرضية التي تندرج في سياق الحديث عن تاريخ الدولة الزيانية بصفة عامة، إذ ركز جل الباحثين على الجانب السياسي، دون الخوض في صميم المواضيع الإقتصادية على الرغم من تصاعد المنحنى البياني للدراسات في حقل التاريخ الزياني خلال العهدين الأخيرين، ومن بين هذه الدراسات نذكر:

* كتاب "**تلمسان في العهد الزياني**" للأستاذ الدكتور عبد العزيز فيلالي، الذي تطرق في الجزء الأول من هذا الكتاب لحالة الصناعات والحرف في سياق حديثه عن الأسواق، أين أبرز توزيع مختلف الصنائع والحرف (رحبات وتربيعات خاصة بكل صناعة مثل النساجين، العطارين،...)، لا سيما في سوق القيصرية. فضلا على أنه تطرق للحديث عن الطوائف الحرفية ودورها في الدفاع عن مصالح الصناع والحرفيين، إضافة إلى دور المحتسب في مراقبة جودة مختلف الصناعات والمنتوجات الحرفية التقليدية.

* كتاب "**تاريخ الدولة الزيانية**" لمؤلفه الدكتور مختار حساني، والذي تناول في الجزء الثاني منه الأحوال الإقتصادية والثقافية لدولة بني عبد الواد، حيث أفرد الفصل الثاني من هذا الجزء للحديث عن الصناعة والصناع، تنظيم المراكز الصناعية، كما أشار إلى الدور الذي لعبته المرأة في تطور الصناعة الزيانية. ثم انتقل بعد ذلك لتعداد أهم الصناعات التي كانت منتشرة في مختلف أرجاء الدولة الزيانية، كالصناعات النسيجية والجلدية...إلخ.

كما له أيضا مقال موسوم بـــ"**الأسواق في المغرب الأوسط خلال العهد الزياني**"، وتناول فيه تنظيم الأسواق الزيانية، مبرزا – في سياق حديثه- أهم الحرف والمنتجات الحرفية التي كانت تباع هذه الأسواق.



* كتاب "**الدولة الزيانية غي عهد يغمراسن، دراسة تاريخية وحضارية 633- 681هـ/ 1236- 1282م**"، حيث خصص مؤلفه الدكتور خالد بلعربي حيزا مهما للحديث عن الصناعة، مبرزا من خلالها النظرة الإسلامية للعمل، إضافة إلى وفرة المواد الأولية، واتساع العمران الذي أدى إلى خلق مناخ مناسب لتطور ورقي مختلف الصناعات والحرف في عهد العاهل الزياني يغمراسن بن زيان.

* دون أن ننسى كتاب" **تلمسان مركز إشعاع فكري وحضاري**"، لصاحبه الأستاذ عزي بوخالفة، الذي تطرق فيه للحديث عن بعض الحرف التلمسانية – عصر الزيتون، النسيج، الصناعة الجلدية، ...، مبرزا في إطار حديثه أثر هذه الحرف في تسمية بعض أبواب وأحياء المدينة بمسمياتها، كحي العطارين، باب الجياد، باب القرمادين...إلخ.

- إشكالية الموضوع:

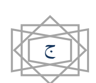
بعد اضمحلال وتفكك دولة الموحدين عقب هزيمة العقاب (609هـ/1212م)، ضعفت سلطتهم وأصبحوا عاجزين عن إدارة بلاد المغرب، مما أدى إلى ظهور أطماع بعض القبائل في الإستيلاء على تركتهم، والتطلع إلى تأسيس دول على أنقاض دولتهم، ومن بين هذه القبائل قبيلة بني زيان، التي تمكنت من الاستحواذ على مناطق واسعة من بلاد المغرب الأوسط، ولما قويت شوكتهم أعلنوا استقلالهم عن دولة الموحدين، وأسسوا الدولة الزيانية.

وبناءا على هذا نجد أن موضوع الصناعات والحرف في هذا العصر يطرح أمام الباحث إشكالية رئيسية مفادها:

- ما هي طبيعة الصناعات والحرف ومقوماتها التي جعلت من الدولة الزيانية قوة اقتصادية في عصرها؟

وتندرج تحت هذه الإشكالية إشكاليات فرعية أهمها:

1- ما مدى حضور النشاط الحرفي في بيئة المغرب الأوسط الزياني، وما هي أبرز التنظيمات التي تمخضت عنه؟



2- ما هي أنواع الصناعات التي كانت منتشرة في العصر الزياني؟ ثم كيف أثرت على المجالات الإقتصادية الأخرى- زراعة، تجارة-؟

3- هل كانت المنتوجات الصناعية والحرفية على اختلافها محلية خالصة؟ أم أن لها تأثيرات خارجية؟

- منهج الدراسة:

لمعالجة هذه الإشكالية اعتمدت على استنطاق واستقراء النصوص التاريخية المستوحاة من المصادر المختلفة التي تمكنت من الاطلاع عليها، معتمدا في ذلك على المنهج الوصفي الذي غلب على معظم فقرات البحث، كما اعتمدت أيضا على المنهج التحليلي سيما في الفصل الثاني، حيث قمت بتحليل ومناقشة بعض الآراء التي قيلت في مدلولي الصناعة والحرفة، وبناءا على ذلك التحليل قمت بتوضيح الفرق بينهما، في ظل غياب معطيات وتعريفات دقيقة للمصطلحين- وبهذين المنهجين بني هذا البحث-.

- شرح خطة البحث:

للإجابة عن كل هذه التساؤلات اعتمدت في إعدادي لهذا البحث على خطة منهجية وضعتها بناءا على ما توفر لي من مادة علمية، وقد جاءت هذه الخطة كما يلي:

المقدمة: عرفت فيها بموضوع البحث وأهميته، وبيّنت من خلالها الأسباب والدوافع الكامنة وراء اختياره، مع الإشارة إلى بعض الدراسات السابقة التي تصب في حقل الموضوع، كما طرحت من خلالها الإشكالات الأساسية التي بنيت عليها خطة البحث، ثم أشرت إلى المنهج المتبع فيه، وأتبعتها بعرض لأهم المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها في تحرير فصول البحث، وبعض الصعوبات التي واجهتني في ذلك.

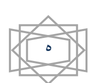
أما الفصل الأول فقد تناولت فيه قيام الدولة الزيانية بالمغرب الأوسط، وقسمته إلى خمسة مباحث؛ حيث قمت في المبحث الأول بتحديد الإطار الجغرافي للدولة، وفي الثاني تطرقت إلى أصل بني زيان وبيان الإختلاف الحاصل في هذا الصدد، أما المبحث الثالث فخصصته للحديث عن الظروف التي صاحبت قيام الدولة الزيانية، وفي الرابع تناولت الأدوار التاريخية التي مرت بها الدولة في ظل

الصراعات السياسية، التي تميزت بها مع جارتيها الحفصية والمرينية، لأختم بالمبحث الخامس الذي تعرضت فيه بإيجاز للاقتصاد الزياني- زراعة، صناعة، وتجارة-.

أما الفصل الثاني من هذا البحث فحاولت من خلاله رصد النشاط الحرفي وتنظيماته، وضَمّ هو الآخر خمسة مباحث؛ تطرقت في مبحثه الأول للجدل الواقع بين مدلولي الحرفة والصناعة، وفي المبحث الثاني تتبعت إنتشار الأنشطة الحرفية في الدولة الزيانية سواء كان ذلك في البوادي أو في الحواضر، أما المبحث الثالث فقد كان عرضاً لأهم الورشات الحرفية وتنظيماتها، وفي المبحث الرابع عرّفت بالطوائف الحرفية، وأشرت إلى المهام الموكلة لأمنائها بغية مراقبة عمل الصناع والحرفيين، وفي نهاية هذا الفصل تناولت ضمن المبحث الخامس، قمع الغش وحماية الإنتاج من خلال نظام الحسبة على مختلف الصناعات والحرف التي عرفها المجتمع الزياني لما يزيد عن ثلاثة قرون من الزمن.

وفي الفصل الثالث والأخير ركزت على استقراء الكتب المصدرية واستخراج ما تتضمنه من مادة خبرية عن أنواع الصناعات الزيانية وقد احتوى على ستة مباحث؛ خصصت المبحث الأول منها للحديث عن الصناعة النسيجية التي كانت واسعة الإنتشار في كل ربوع الدولة العبد الوادية، وفي المبحث الثاني عرفت بمختلف الصناعات الجلدية سواء تعلقت بلباس الإنسان، أو بحاجات الخيل ومتطلباتها، أما المبحث الثالث فتناولت فيه صناعة من الصناعات الضرورية لحياة الإنسان ألا وهي الصناعة الغذائية، وعن المبحث الرابع فتطرقت فيه للصناعة المعدنية- حديدية، نحاسية، (ذهب وفضة)- ثم أشرت بعد ذلك إلى رقي فنون العمارة الزيانية، التي ترجمتها في المبحث الخامس من خلال الحديث عن صناعة مواد البناء المختلفة، وختمت هذا الفصل بالحديث عن المنتوجات الفخارية والخشبية التي انتشرت صناعتها خلال الفترة الممتدة من القرن السابع إلى القرن العاشر الهجري.

أما الخاتمة فكانت حوصلة لمختلف الاستنتاجات والنتائج التي توصلت إليها من خلال ثنايا وسطور هذه الدراسة، التي ألحقتها بمجموعة من الملاحق والخرائط التوضيحية التي ساهمت بشكل كبير في توضيح الرؤى وإثراء الموضوع أكثر.



- عرض لأهم مصادر البحث ومراجعه:

تعددت المصادر والمراجع التي استقيت منها المادة العلمية، وتنوعت مشاربها وتباينت طريقة عرضها للمعلومات التاريخية التي تخص مجال الصناعات والحرف حسب توجهاتها، وقد تمثلت هذه المصادر في الكتب التاريخية والجغرافية، وكتب الفقه والحسبة والمناقب، بالإضافة إلى كتب التراجم والطبقات، ومن أهم هذه المصادر المعتمدة في البحث نذكر:

1- كتب التاريخ العام: ومنها:

أ- أبو زكريا يحي ابن خلدون (ت.780هـ/1378م):

ويعتبر كتابه" **بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد**" من أهم المصادر التي عنيت بتاريخ بني عبد الواد منذ نشأتها إلى أواخر سنة 776هـ/1374م، وهو الكتاب الذي أُلِّفَ في القرن الثامن هجري، بأمر من السلطان الزياني أبي حمو موسى الثاني لكاتب السّر في بلاطه يحيى ابن خلدون، وهو يحتوي على جزئين خصصهما لتاريخ ملوك بني عبد الواد، حيث استفدت من جزئه الأول في تحديد أصل بني زيان، إضافة إلى أنني استقيت منه معلومات مهمة عن الصناعات النسيجية التي كانت منتشرة بتلمسان في العصر الزياني، فضلا عن ترجمته لبعض العلماء الذين عاصروه أمثال سعيد بن قاسم العقباني وغيرهم، وبالتالي فهو يعد من أهم مصادر التأريخ للدولة الزيانية.

ب- أبو زيد عبد الرحمان إبن خلدون (ت.808هـ/1405م):

في كتابه " **العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**" الذي يتضمن معلومات مهمة عن التاريخ السياسي والعسكري للدولة الزيانية، وقد استفدت منه في وصف التحولات السياسية التي مرت بها الدولة العبد الوادية، باعتباره شاهد عيان على معظم فتراتها التاريخية، وفي تحديد أصل بني زيان، كما استقيت من خلاله معلومات مهمة عن الدور الذي لعبته الجالية الأندلسية في تطوير بعض الصناعات سيما في سك العملة الزيانية.



واعتمدت على مقدمته، التي احتوت على معلومات قيمة عن مختلف الصنائع والعلوم، حيث أشار فيها إلى مراتب الصناعات وأسباب استجادتها من جهة، وتراجعها من جهة أخرى، هذا فضلا عن معلومات أخرى لها صلة وثيقة بموضوع دراستي.

ج- محمد بن عبد الله التنسي (ت.899هـ/ 1493م):

وعنوان مؤلفه" **تاريخ بني زيان ملوك تلمسان مقتطف من كتاب نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان**" وهو كتاب مكمل لما جاء في المصدرين السابقين (بغية الرواد، ديوان العبر)، سيما في سرد الأحداث السياسية والعسكرية التي عاصرها خلال التاسع هجري- الخامس عشر ميلادي- وقد اعتمدت عليه في ذكر إنجازات بعض السلاطين، خاصة في عهد السلطان عبد الرحمان أبي تاشفين بن أبي حمو موسى الأول الذي كان مولعا ببناء الدور وتشييد القصور، وهو يعد ثالث أهم مصدر للدولة الزيانية، حيث تعود أهميته لكون مؤلفه عاش في قصور بني عبد الواد، وبالتالي يكون قد تمكن من الاطلاع على بعض الوثائق السياسية التي تجعله من المصادر الموثوقة.

2- كتب الرحلة والجغرافيا:

أ- محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي المعروف بابن بطوطة (ت.756هـ/1355م):

في كتابه رحلة ابن بطوطة المسماة "**تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**" دون فيه ابن بطوطة أوصافا قيمة عن الكثير من البلدان التي زارها، سواء كانت في المشرق أو في المغرب الإسلامي خلال القرن الثامن هجري/ الرابع عشر ميلادي، كما تضمنت رحلته معلومات عن طبائع الناس وعاداتهم، وطرق معيشتهم وموارد رزقهم، وقد أفادني في اطار الحديث عن الأوضاع الإقتصادية للدولة الزيانية، خاصة في شقها التجاري لما تحدث عن قافلة الحاج زيان، كما خدم موضوعي بحديثه عن المبادلات التي كانت تتم بين تلمسان وممالك السودان الغربي، والتي من شأنها أن تمدنا ولو بصورة عرضية عن بعض المصنوعات المصدرة إلى بلاد السودان الغربي من جهة، والمواد الأولية الواردة منه - والمتمثلة أساسا في الذهب- من جهة أخرى.



ب- محمد بن عبد المنعم الحميري (ت. في أواخر القرن 9هــ/15م):

وعنوان كتابه" **الروض المعطار في خبر الأقطار**" وهو من المصادر الجغرافية المهمة التي تحدثت عن جغرافية مدن العالم الإسلامي وفقا لترتيب الحروف الأبجدية، لذا فقد رجعت إليه في وصف بعض المدن الزيانية وأهم منتوجاتها، ومن هذه المدن عاصمة الدولة تلمسان، والشلف ومليانة وبجاية وغيرها. وتعود أهميته إلى أنه قام بزيارة تلمسان ودون وصفه لها بناءا على ما شاهده بأم عينه.

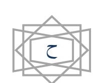
ج- الحسن بن محمد الوزان الفاسي المعروف بليون الإفريقي (ت.957هــ/1552م):

في كتاب "**وصف إفريقيا**" الذي يتكون من جزئين ، ويتضمن في طياته وصفا مفصلا لمدن بلاد المغرب عامة، ومدن مملكة تلمسان- المغرب الأوسط- على وجه الخصوص، وهو يعتبر أهم مصدر من المصادر التي اعتمدت عليها في تحرير فقرات هذه الدراسة على الإطلاق، حيث استفدت منه في معرفة مدن وأقاليم الدولة الزيانية وما تزخر به من مواد أولية، وبالتالي معرفة الصناعات والحرف التي اختصت بها كل مدينة من هذه المدن. كما أنه يمدنا أيضا بمعلومات جد هامة عن صادرات الدولة من المنتوجات الحرفية، وعن الأسواق وبقية الأنشطة الإقتصادية المنتشرة بأراضي الدولة الزيانية التي قام بزيارتها وعاش فترة من الزمن في قصور سلاطينها.

3- كتب الفقه والنوازل والحسبة:

أ- أبو القاسم بن أحمد البرزلي (ت.841هــ/ 1438م):

وقد اعتمدت على كتابه: "**جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام**" الذي ضم معلومات قيمة عن بعض الأنشطة الحرفية، كإشارته في إحدى النوازل إلى كيفية طهي الخبز على الطاجين، فضلا عن تطرقه لحرفة الجزارة وغيرها من الحرف، وبالتالي فهو كتاب مهم لأنه أمدنا بمادة فقهية في المستوى.



ب- أبو عبد الله محمد بن سعيد بن قاسم العقباني (ت.871هـ/1467م):

وجاء كتابه تحت عنوان" **تحفة الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر**" وقد حققه علي الشنوفي، ونشره في:

Extrait du Bulletin d 'études orientales de l'Institut Français DE DAMAS Tome XIX 1967.

وأفادني هذا الكتاب كثيرا في الفصل الثاني من الدراسة، حيث ركزت عليه كثيرا في سياق تطرقي للدور الذي يقوم به المحتسب في مراقبة الصناع والحرفيين، من خلال قمع كل مظاهر الغش التي انتشرت بكثرة في جل الصناعات التي أوردتها في هذه الدراسة. خصوصا في الصناعات الغذائية والصناعات النسيجية، وهذا في ظل انعدام المصادر المتخصصة في الحسبة لبلاد المغرب الأوسط، إذا ما استثنينا هذا الكتاب الذي يعد مصدر الحسبة الوحيد، ومنه فهو كتاب مهم جدا.

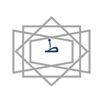
ج- أبي العباس أحمد بن يحي الونشريسي (ت.914هـ/1511م):

ويتضمن كتابه: "**المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب**" الكثير من الفتاوى المتعلقة ببلاد المغرب الأوسط، والتي نقلها الونشريسي عن المازوني في كتابه" **الدرر المكنونة في نوازل مازونة**"، إلا أنه يضم هو الآخر معلومات جمة عن الحياة الإجتماعية والإقتصادية للمغرب الأوسط في الفترة قيد الدراسة، إذ أنه أفادني في معرفة بعض مظاهر الغش التي طالت الصناعات والحرف، سيما الغش في العملة والنسيج ...وغيرهما.

4- كتب المناقب:

أ- ابن مرزوق أبي عبد الله محمد بن أحمد الشهير بالخطيب (ت.781هـ/1379م):

وقد اعتمدت على كتابه: "**المناقب المرزوقية**" الذي ضم مجموعة من التراجم لأسرة ابن مرزوق الخطيب، حيث أشاد فيه المؤلف بحياة العلم والزهد والصلاح التي اشتهرت بها هذه الأسرة، وتتجلى أهمية هذا المصدر بالنسبة لموضوع دراستي في كونه يميط اللثام عن جوانب مهمة من الحياة السياسية



والإقتصادية في حاضرة تلمسان، وذلك من خلال إشارته لجملة من الصناعات والحرف التي كانت منتشرة في عصره، ولا سيما صناعة الصوف الرقيق الذي اشتهرت به تلمسان.

كما أن له كتاب آخر عنوانه: "**المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن**" وهو الكتاب الذي أفرده ابن مرزوق الخطيب، للتغني بمناقب السلطان أبي الحسن المريني ومآثره، مع ذكر الآثار التي خلفها في مدينة تلمسان، وقد أمدني هذا الكتاب بمعلومات عن بعض الصناعات خاصة في مجال البناء وفنون العمارة، التي كان أبي الحسن مولعا بها، فسخر لذلك الصناع على اختلاف مشاربهم وتخصصاتهم من أجل تشييد منشآته العمرانية.

ب- أبي العباس أحمد الخطيب الشهير بابن قنفد القسنطيني (ت.810هـ/1408م):

واعتمدت له هو الآخر على كتابين أولهما " **أنس الفقير وعز الحقير**" الذي خصصه المؤلف للتعريف بالولي الصالح أبي مدين شعيب وبعض أصحابه، وبالرغم من شح معلوماته عن الصناعات والحرف، إلا أنني استفدت من إشارته إلى بيع مادة الخبز بدكاكين تلمسان، والتي كانت تمثل أهم غذاء في المجتمع التلمساني، كما استعنت بكتاب: "**الوفيات**" في الترجمة لبعض الأعلام التي وردت في متن هذه المذكرة.

ج- أبي الفضل محمد بن صعد الأنصاري التلمساني (ت.901هـ/1496م):

وقد ترجم في مؤلفه: "**روضة النسرين في التعريف بالأشياخ الأربعة المتأخرين**" لأربعة أولياء من المغرب الأوسط - وهم: الشيخ أبو إسحاق إبراهيم التازي نزيل وهران ودفينها عام 866هـ، الشيخ محمد الهواري، الشيخ الحسن أبركان، والشيخ أحمد بن الحسن الغماري- وتكمن أهمية هذا الكتاب في سرده لجوانب مهمة تتعلق أساسا بحياة الناس اليومية في عصره، ومنها ذكره لبعض الحرف التي كانوا يزاولونها كالجزارة والاحتطاب، كما أنه أفادني في معرفة الملابس النسيجية التي كان يرتديها الأولياء والمتصوفة، سيما من المترجم لهم في هذا الكتاب.



5- كتب الطبقات والتراجم:

أ- <u>ابن مريم التلمساني</u> (كان حيا سنة 1014هـ/1605م):

في كتابه:" **<u>البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان</u>**" الذي ترجم فيه المؤلف لعدد كبير من الصلحاء والعلماء، سواء الذين أنجبتهم مدينة تلمسان، أو الذين قدموا إليها من بجاية وفاس وبلاد الأندلس واستقروا بها، كما أنه اهتم بذكر بعض الصنائع والحرف في عدد من التراجم التي أوردها، وبالتالي فهو من أهم كتب التراجم التي تخدم هذا الموضوع خلال فترة الدراسة.

ب- <u>أحمد بابا التمبكتي</u> (ت.1036هـ/1627م):

وقد اعتمدت على كتابه: "**<u>نيل الابتهاج بتطريز الديباج</u>**" وهو يضم مجموعة كبيرة من التراجم لعلماء وفقهاء المذهب المالكي، خاصة أولئك الذين برزوا في بلاد المغرب الإسلامي عامة، والمغرب الأوسط خاصة ممن عاصرهم المؤلف، كما أنه ذكر بعض علماء المشرق الإسلامي، وبذلك يكون قد أفادني في الترجمة لبعض الأعلام التي وردت في هذا البحث.

وإضافة إلى هذه المصادر فقد إعتمدت على مجموعة من المصادر الأخرى، التي لا تقل أهمية عن المصادر التي ذكرتها آنفا، أما المراجع التي اعتمدت عليها فهي الأخرى كانت كثيرة ومتنوعة، سبق وأن تطرقت لعينة منها في إطار الحديث عن الدراسات السابقة، مثل كتاب " **تاريخ الدولة الزيانية** " لمختار حساني، وكتاب "**تلمسان في العهد الزياني**" للأستاذ الدكتور عبد العزيز فيلالي، و"**نظم الحكم في دولة بني عبد الواد**" للدراجي بوزياني، وكتاب "**أبو حمو موسى، حياته وآثاره**" لعبد الحميد حاجيات، وغيرها من المراجع التي أفادتني كثيرا، حيث استقيت منها منهج العمل ومجموعة أفكار رسمت على أساسها مسلك دراستي.



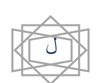
- **صعوبات الدراسة:**

لقد واجهتني أثناء البحث في هذا الموضوع جملة من الصعوبات أهمها:

- ✓ قلة المصادر المتعلقة بموضوع الصناعات والحرف، فجل ما توفر لي من مصادر مختلفة طغت عليها المادة السياسية والعسكرية، اللّهم بعض الإشارات المتناثرة هنا وهناك، إضافة إلى قلة المراجع التي تمس صميم الموضوع بحدوده ومجالاته.
- ✓ عدم وجود أبحاث دقيقة تفصل بين مدلولي الحرفة والصناعة، وهو ما أدى إلى تضارب الآراء وتداخل في المفاهيم، الأمر الذي صعب عليّ تأطير فصول البحث.
- ✓ صعوبة الفصل في المجال الجغرافي للدولة الزيانية، والذي ظل بين مد وجزر لما يربو عن ثلاثة قرون من الزمن، نظرا لوقوعها بين فكي بني حفص شرقا وبني مرين غربا.
- ✓ صعوبة الالتزام والتقيد بمخطط العمل الذي سطرته لإعداد هذا البحث نتيجة لضيق الوقت، وهو ما أجبرني على إلغاء بعض التفاصيل من هذا المخطط.

وفي الأخير أشكر الله سبحانه وتعالى الذي وفقني لإتمام هذه الدراسة، التي حاولت فيها قدر المستطاع إماطة اللثام عن صفحة هامة من صفحات التاريخ الزياني المشرق، كما لا يفوتني أن أقدم جزيل الشكر والعرفان، إلى المشرف الأستاذ الدكتور: **عبد العزيز فيلالي**، الذي كان أبا حنونا فلم يدخر أي جهد في سبيل إرشادي وتوجيهي بنصائحه القيمة، منذ أن كان هذا العمل في مهده وإلى غاية الصورة التي هو عليها الآن.

والله ولي التوفيق





الفصل الأول: قيام الدولة الزيانية

1- الأبعاد الجغرافية للدولة الزيانية:

تعد الحدود الجغرافية للمغرب الأوسط[1] ضمن خارطة المغرب الإسلامي في العصر الوسيط مسألة يصعب البث فيها، لعدم استقرارها على وضع معين بفعل ديمومة حركة القبائل البربرية العربية، وحالة القوة والضعف للدول المتعاقبة على حكمه[2]، بما في ذلك الدولة الزيانية التي لم تكن طوال فترة حكمها لبلاد المغرب الأوسط ثابتة الحدود، بل أنها كانت تتوسع وتتقلص بحسب الظروف السياسية والعسكرية التي تحيط بها[3]، وذلك نظرا لوجودها بين فكي بني مرين غربا، وبني حفص شرقا، حيث لا تكاد تهدأ الحرب مع الجارة الأولى حتى توقد مع الثانية، فبقيت بذلك حدودها مترامية الأطراف بين مد وجزر.[4] وقد امتدت هذه الحدود عموما من جبل الزان المتاخم لحدود مملكة إفريقية شرقا[5]،

---

[1] اختص الجغرافيون و أصحاب المؤلفات التاريخية، بذكر مصطلح المغرب الأوسط في كل مرة استنادا للقوى التي كانت تحكمه أو الفترات التي عاصروها، كقصدهم بالمغرب الأوسط: تيهرت، كتامة ، بني حماد، تلمسان... . أما عن حدوده الفعلية فقد تغيرت بتغير القوى السياسية المتمركزة آنذاك (بنو رستم، ، الشيعيين، الزيريين، بني حماد، الزيانيين) ولهذا عرفت أجزاء منه التبعية إما للمغرب الأدنى (بنو الأغلب، الحفصيين) أو المغرب الأقصى (الأدارسة، المرابطين، المرينيين)... الى غاية الحكم العثماني الذي ضبط حدود الإيالة الجزائرية آنذاك. **أنظر**:
GUSTAVE LE BON, La civilisation des arabes, IMAG-Syracuse, Italie, 1969, P. 184.

[2] الطاهر بونابي، التصوف في الجزائر خلال القرنين 6-7هـ/ 12-13م، نشأته، تياراته، ودوره الإجتماعي والثقافي والفكري والسياسي، دار الهدى للطباعة والنشر، عين مليلة، الجزائر، 2004م، ص.29.

[3] محمد العربي حرز الله، تلمسان مهد حضارة وواحة ثقافة، دار السبيل للنشر، الجزائر، 2011، ط.1، ص.159.

[4] عبد الجليل قريان، السياسة التعليمية للدولة الزيانية (633- 962هـ/1236-1554م)، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الوسيط، إشراف: بوبة مجاني، جامعة منتوري، قسنطينة، السنة الجامعية: 1414-1425هـ/ 2003-2004م، ص.10.

[5] محمد بن عبد الله التنسي (ت.899هـ/1493م)، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، مقتطف من كتاب نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان، تح. وتعليق: محمود آغا بوعياد، دار موفم للنشر، الجزائر، 1431هـ/2011م، ص.184.

إلى واد " زا " ونهر ملوية غربا[1]، وفي بعض الأحيان نجدها تصل من هذه الجهة إلى بلاد تاوريرت[2]، أما طولا فهي تمتد من البحر الرّومي- أو البحر الأبيض المتوسط بمصطلح عصرنا- شمالا، إلى المفاوز الفاصلة بين بلاد المغرب وبلاد السودان جنوبا[3]، كنواحي ورجلان وغرداية[4] وإقليم توات[5].

ومنه نستطيع القول أن الدولة الزيانية امتدت جغرافيا من نواحي بجاية وبلاد الزاب شرقا، إلى واد " زا " ونهر ملوية غربا، ومن البحر الأبيض المتوسط شمالا إلى ورجلان وغرداية وتوات جنوبا. وهي الحدود التي استمرت عليها الدولة الزيانية في أغلب فتراتها التاريخية، وذلك بالرغم من توالي الهجمات الحفصية والمرينية على أراضيها[6].

2- أصل بني زيان:

كان بنو عبد الواد يعيشون حياة البداوة والترحال بين المراعي[7]، وعندما استولى الموحدون على هذه المناطق حاولوا الوقوف في وجههم خوفا من أن تقطع عليهم مراعيهم في منطقة التل، التي تعودوا

---

1 الحسن بن محمد الوزان الفاسي (ت.957هـ/1552م)، وصف إفريقيا، تر. محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي للنشر، بيروت، لبنان، 1983م، ط.2، ج.2، ص.07.

2 مبارك بن محمد الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، تقديم وتصحيح: محمد الميلي، المؤسسة الوطنية للكتاب، بن عكنون، الجزائر، د.ت، ج.2، ص.440. **أنظر أيضا**: عبد الرحمان بن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 1415هـ/1994م، ط.7، ج.2، ص.146.

3 أبي العباس أحمد القلقشندي (ت.821هـ/1418م)، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، المطبعة الأميرية، مصر، القاهرة، 1333هـ/1915م، ج.5، ص.149.

4 عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، دراسة سياسية، عمرانية، إجتماعية، وثقافية، دار موفم للنشر، الجزائر، 2007م، ج.1، ص.45.

5 أبو الوليد إسماعيل ابن الأحمر (ت.810هـ/1408م)، روضة النسرين في دولة بني مرين، تح. عبد الوهاب بن منصور، مطبوعات القصر الملكي، المطبعة الملكية، الرباط، 1382هـ/1962م، ص.56.

6 عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج.1، ص.45.

7 الدراجي بوزياني، نظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانية، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 1993، ص.23.



على التنقل فيها بحرية، إلا أنهم إنهزموا على يد عبد المؤمن في طريق زحفه بجيوشه على تاشفين بن علي بوهران. ولما تأكدوا من عدم قدرتهم على مجابهة الموحدين راحوا يتقربون منهم[1]، وعندما تغلب الموحدون على بلاد المغرب الأوسط كان بنو عبد الواد من السباقين إلى طاعتهم[2].

إذ تذكر الروايات أن عبد المؤمن بن علي لما ملك تلمسان[3] وأمصارها، وأراد الجواز إلى إفريقية بعث غنائمه من المال والذخائر والكراع إلى المغرب، فهاجمها المخضب بن عسكر المريني في خمسمائة فارس، ولما سمع عبد المؤمن بالخبر أرسل مستنجدا إلى شيخ بني عبد الواد أبي محمد عبد الحق بن معاذ، الذي استجاب لنجدة عبد المؤمن وسار لنصرة غنائمه التي تمكن من استرجاعها[4]، وبالتالي اكتسبوا- بنو عبد الواد- ثقة الحكام الموحدين الذين استحسنوا صنيعهم فردوا لهم الجميل بجعلهم أولياء وأنصارا، وحماة لقطر تلمسان[5]، وأقطعوهم تلك الربوع من الأراضي الخصبة، وبهذا ضمنوا مراعيهم في المناطق التي كانوا يستقرون بها[6]، وظلوا على ولائهم للموحدين إلى أن بدأ الضعف ينخر دولتهم.

---

1 لطيفة بشاري، التجارة الخارجية لتلمسان في عهد الإمارة الزيانية، من القرن الرابع إلى القرن العاشر هجري، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، جامعة الجزائر، السنة الجامعية:1986-1987م، ص.21.

2 الدراجي بوزياني، المرجع السابق، ص.24.

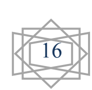
3 **تلمسان**:POMARIA، هما مدينتان متجاورتان احداهما قديمة اسمها أغادير، والأخرى حديثة اسمها تاجرارت، عرفت شهرة كبيرة لما كانت عاصمة لحكم بني زيان، كما كانت بمثابة همزة الوصل بين مناطق التل البحري والصحراء. **أنظر**:

Barges Jean-Joseph-Léandre, Tlemcen ancienne capitale du royaume de ce nom : sa topographie,son histoire et description de ses Principaux monuments anecdotes, Souvenirs d'un voyage, paris- France, 1859, pp 111-112. ET voir aussi :Charles Bosselard, Tlemcen et Tombouctou, Alger, 1861, p 09.

4 أبو زكريا يحيى ابن خلدون (ت.780هـ/1378م)، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، نشره وترجمه إلى الفرنسية: ألفرد بل، مطبعة بيير فونتانا الشرقية، الجزائر، 1321هـ/1903م، ج.1، ص.101.

5 المصدر نفسه، ص. 104، **أنظر أيضا**: لطيفة بشاري، المرجع السابق، ص.21.

6 الدراجي بوزياني، المرجع السابق، ص.24.



لا سيما بعد انهزامهم في معركة العقاب بالأندلس سنة 609هـ/1212م[1]، وزاد في ضعفها سوء العلاقة بين الأمراء وشيوخ القبائل، الذي نتج عنه استقلال الحفصيين في إفريقية، ثم استقلال الزيانيين بتلمسان سنة 633هـ/1236م[2].

ويعود الزيانيون في أصلهم ونسبهم إلى قبيلة زناتة[3] البربرية التي توطنت في بلاد المغرب، وكان لهم فيها شعوب أكثر من أن تحصى مثل مغراوة، بني يفرن، بني مرين وتوجين وبني عبد الواد[4]، هذه الأخيرة ضمت عددا من القبائل التي اتحدت فيما بينها تحت اسم عبد الواد، وهذه القبائل هي: أولو، ورهطف، نصوحة، تومرت، القاسم[5].

---

[1] أبو العباس أحمد السلاوي الناصري، الإستقصا لأخبار دول المغرب الاقصى، تح. جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب للنشر، الدار البيضاء، المغرب، 1954، ج.2، ص.200، **أنظر أيضا**: أحمد مختار العبادي، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، مؤسسة الشهاب الجامعية للنشر، الإسكندرية، القاهرة، 1979، ص.176،177، حسين مؤنس، تاريخ المغرب وحضارته، مطبعة العصر الحديث، بيروت، لبنان، 1992، ط.1، ج.3، ص.8،14.

[2] لطيفة بشاري، المرجع السابق، ص.20.

[3] **زناتة**: تنقسم إلى طبقتين، الطبقة الأولى منهم مغراوة التي سيطرت على فاس، وبني يفرن ملوك سلا، والطبقة الثانية منها بني مرين وبنو وطاس وبنو عبد الواد. **أنظر**: إبن الأحمر، تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان، تح. وتقديم وتعليق، هاني سلامة، مكتبة الثقافة الدينية للنشر، بورسعيد، القاهرة، 1421هـ/2001م، ط.1، ص.13، **أنظر أيضا**: عبد الحميد حاجيات، تاريخ دولة بني زيان، مقتطف من كتاب من كتاب العبر وكتاب تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان لإبن الأحمر، دار منوبي للنشر، الجزائر، 2012، ص.33.

[4] عبد الرحمان إبن خلدون (ت.808هـ/1405م)، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مراجعة: سهيل زكار، دار الفكر للنشر، لبنان، بيروت، 1421هـ/2000، ج.7، ص.11، **أنظر أيضا**: السلاوي الناصري، المصدر السابق، ج.3، ص.3، بوزياني الدراجي، المرجع السابق، ص.23.

[5] محمد بن عبد الله التنسي، المصدر السابق، ص.109.



وقد نسبهم يحيى ابن خلدون إلى الأدارسة حيث يعتقد أن أجداد الزيانيين من بني القاسم يعودون في نسبهم إلى الأدارسة قائلا "الفخذ الثاني وهم بنو القاسم من ولد إدريس بن إدريس بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم "[1]. ويؤيده في رأيه هذا التنسي الذي يقول:" والقاسم جد أمير المؤمنين، اتفق النساب على أنه من ولد عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط، بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، ولكن اختلفوا في طريق إتصاله به... "[2] إلا أن عبد الرحمان ابن خلدون يخالف التنسي وشقيقه يحي ابن خلدون، إذ أنه يرفض رد نسب الزيانيين إلى الأدارسة بقوله:" ويزعم بنو القاسم هؤلاء أنهم من أولاد القاسم بن ادريس، وربما قالوا في هذا القاسم أنه ابن محمد بن إدريس، أو ابن محمد بن عبد الله، أو ابن محمد بن القاسم، وكلهم من أعقاب ادريس زعما لا مستند له إلا اتفاق بني القاسم هؤلاء عليه"[3].

وما يزيد في هوة هذا الخلاف هو رأي السلاطين الزيانيين الأوائل في قضية نسبهم إلى الأدارسة، إذ ظلت آراؤهم منقسمة بين الصمت تارة والتأييد تارة أخرى، فالسلطان يغمراسن بن زيان (633-681هـ/1236- 1282م)، لما رفع نسبه إلى ادريس كما يذكرون قال ما معناه :"إن كان هذا صحيحا فينفعنا عند الله، وأما الدنيا فإنما نلناها بسيوفنا"[4]، كما أن السلطان أبو حمو موسى الثاني (760- 791هـ/1359- 1389 م)، هو الآخر أيد هذا النسب حين قال بأن جده هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه[5]، يضاف إليهم السلطان أبو ثابت محمد المتوكل على الله (866-

---

[1] يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج.1، ص.101، **انظر أيضا**: الآغا بن عودة المزاري، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر واسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، دراسة وتح. يحيى بوعزيز، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1410هـ/1990م، ج.1، ص.159.

[2] محمد بن عبد الله التنسي، المصدر السابق، ص.110.

[3] ابن خلدون، المصدر السابق، ج.7، ص.97.

[4] المصدر نفسه، ج.7، ص.97،98.

[5] المصدر نفسه، ج.2.، ص.8- 9.

873هـ/1462- 1468م) الذي أيد أيضا هذا الاعتقاد من خلال كتاب نظم الدر للتنسي عندما منح السلطان أوصافا تعيده إلى البيت الهاشمي[1].

وربما يعود هذا الاختلاف في رد نسب بني القاسم إلى الأدارسة من جهة، وإلى بني عبد الواد من جهة أخرى، إلى نزول محمد ابن القاسم بن محمد بن سليمان بمدينة تلمسان على رأس قسم من الأدارسة للاحتماء بها، حيث خلف محمدا ابنه القاسم بتلمسان وعليه انقرض هذا الفرع[2]، بعد أن كونوا فرعا خاصا بهم داخل قبيلة بني عبد الواد عرف باسم بني القاسم، وبسبب قرب الأدارسة من نسب الرسول صلى الله عليه وسلم، فقد لقوا شهرة واسعة، كما قوبلوا بالإحترام وحسن المعاملة داخل قبائل المغرب الأوسط وبالأخص داخل قبيلة بني عبد الواد، وتوثقت العلاقة بين الطرفين أكثر عن طريق الزواج من بعضهما البعض مما أدى إلى التداخل في النسب[3].

إن السلاطين الزيانيين لم يعطوا أهمية لقضية نسبهم للأدارسة في المراحل الأولى من تاريخ دولتهم، إلا أن اهتمامهم بهذه القضية جاء في الفترة الأخيرة من عمر الدولة الزيانية، وذلك نتيجة لبعض الصعوبات والمشاكل التي واجهتهم فلجئوا إلى استخدام قضية النسب الشريف كفكرة لجمع شمل الرعية وتشجيعهم على دعم السلاطين في محاربة أعدائهم، ومثال ذلك ما حدث مع السلطان أبو حمو موسى الثاني، الذي سعى جاهدا لنشر هذه الفكرة حتى يحقق أهدافه السياسية، ويضمن عطف الناس وطاعتهم، وبالتالي يأخذ بشرعية الأشراف المنحدرين من سلالة الرسول صلى الله عليه وسلم، وقد كان له ما أراد إذ أعاد تشييد الدولة العبد الوادية، ونصب نفسه خليفة لله في أرضه[4].

---

[1] محمد بن عبد الله التنسي، المصدر السابق، ص.206-207.

[2] مبارك بن محمد الميلي، المرجع السابق، ج.2، ص.106-107.

[3] بسام كامل عبد الرزاق شقدان، تلمسان في العهد الزياني (633-962هج/1235- 1555م)، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، إشراف: هشام أبو رميلة، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 1422هـ/2002م، ص. 55.

[4] الدراجي بوزياني، المرجع السابق، ص.97،98.



3- ظروف قيام الدولة الزيانية:

في الوقت الذي ضعفت فيه الدولة الموحدية، وتقلص نفوذها بشكل كبير في النصف الأول من القرن السابع هجري الثالث عشر ميلادي، نتيجة لمجموعة من العوامل على رأسها الهزيمة التي منيت بها أمام النصارى بالأندلس في معركة حصن العقاب المتقدم ذكرها[1]، عرفت بلاد المغرب الأوسط تحرك القبائل البربرية التي عاشت أكثر من قرن في الصحراء بين الزاب[2] وتافيلالت نحو الشمال، حيث كان هدفها الاستيلاء على تركة الموحدين، ومن بين هذه القبائل بنو عبد الواد الذين هم في الأصل قبائل رحل كانت تجوب الصحراء من مدينة سجلماسة إلى منطقة الزاب[3].

وقد بقي بنو عبد الواد على هذه الحال إلى أن تمكنوا من حق الإنتفاع بمقاطعة صغيرة في تلمسان، إذ أن الموحدين لما تغلبوا على أعمال المغرب الأوسط، وتمكنوا من السيطرة على كامل بلاد المغرب كان بنو عبد الواد من السباقين إلى طاعتهم، وصاروا من أخلص قبائل زناتة ولاءا لهم، مما جعل الموحدين يسمحون لهم بالمحافظة على هذا الامتياز، وبالتالي أصبحت تلمسان مقرا للزعيم عبد الواد[4].

إلا أنه وقبل ظهور الدولة الزيانية إلى حيز الوجود كدولة مستقلة، استمر بنو عبد الواد في خدمة الدولة الموحدية مما دفع بالخلفاء الموحدين إلى منحهم المزيد من الأراضي، إذ أقطعوهم عامة بلاد بني

---

1 شوقي أبو خليل، مصرع غرناطة، أبو عبد الله الصغير آخر ملوك بني الأحمر، دار الفكر للنشر، الحجاز، 1981، ط.2، ص.75.

2 **الزاب**: من عمل إفريقية وهو مدن كثيرة، يضم المسيلة ونقاوس وطبنة، بسكرة وتهودة. وبين الزاب والقيروان عشر مراحل، **أنظر**: محمد بن عبد المنعم الحميري (ت. في أواخر القرن 9هـــ/15م)، الروض المعطار في خبر الأقطار، معجم جغرافي، تح. إحسان عباس، مكتبة لبنان للنشر، بيروت، 1984م، ط.2، ص.281، **أنظر أيضا**: شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت الحموي (626هـــ/1228م)، معجم البلدان، دار صادر للنشر، بيروت، لبنان، 1397هــ/1977م، ج.3، ص.124.

3 لخضر عبدلي، التاريخ السياسي لمملكة تلمسان في عهد بني زيان، ديوان المطبوعات الجامعية، وهران، 2007، ص.37.

4 جورج مارسي، بلاد المغرب وعلاقتها بالمغرب الإسلامي في العصور الوسطى، تر. محمود عبد الصمد هيكل، مراجعة: مصطفى أبو ضيف، منشأ المعارف الإسكندرية، مطبعة الإنتصار،1991م، ص.316-317.



ومانو[1]، وبالتالي سكنت قبائل بني عبد الواد بالقرب من تلمسان، التي كان يدير شؤونها الوالي الموحدي أبا سعيد عثمان[2]، حيث قام هذا الأخير باعتقال كبار الزعماء من مشائخ بني عبد الواد، فسعى إليه إبراهيم بن اسماعيل بن علان الصنهاجي المرابطي متشفعا فيهم، وذلك لأنهم قاموا بمحاولة لإعادة إحياء الدولة المرابطية من جديد، حيث حاول بهذه الخطوة كسب بني عبد الواد إلى جنبه لكن الوالي الموحدي رد شفاعته، ولعدم استغلال هذا الأمر مرة أخرى قام أبا سعيد بإطلاق سراح مشائخ بني عبد الواد من تلقاء نفسه، مما أثار غضب ابراهيم لرفض شفاعته من جهة، وفشل خطته في التقرب من السلطة الموحدية من جهة أخرى، ومن هنا أصبح يرى في بني عبد الواد على أنهم منافسين له في تلمسان، فعقد العزم على محاربتهم وكسر شوكتهم، إلا أن بني عبد الواد بزعامة جابر بن يوسف تمكنوا من اجهاض مخططاته والقضاء عليه ومن ثمة دخلوا تلمسان سنة627هـ/1230م[3].

وبعد وفاة الوالي الموحدي أبا سعيد سار أمر المغرب الأوسط إلى جابر بن يوسف[4]، الذي أعلن مباشرة بعد دخوله إلى مدينة تلمسان مبايعته للخليفة الموحدي المأمون (626-629هـ/1228-1232م)، فكان ذلك ايذانا بوضع اللبنات الأولى الممهدة لقيام دولة بني عبد الواد[5]، وقد تميز جابر بن يوسف بحسن تدبيره، حيث قبلت به جميع المناطق والمدن ما عدا ندرومة التي قام بحصارها لأيام معدودة وانتهت حياته مقتولا عند أسوارها في سنة (629 هـ/1231م)[6].

---

[1] **بني ومانو**: هي إحدى بطون زناتة مواطنها بالمغرب الأوسط، وهي في الجهة الشرقية من وادي ميناس ومرات وما إليها من أسافل الشلف، **أنظر**: ابن خلدون، المصدر السابق، ج.7، ص.74.

[2] المصدر نفسه، ص.98،99، **أنظر أيضا**: لخضر عبدلي، المرجع السابق، ص.37.

[3] يحيى ابن خلدون ، المصدر السابق، ج.1، ص.106.

[4] عبد العزيز محمود لعرج، مدينة المنصورة المرينية بتلمسان، مكتبة زهراء مصر، القاهرة، 2006م، ط.1، ص.19.

[5] يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج.1، ص.107، **أنظر أيضا**: عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى الزياني، حياته وأثاره، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1394هـ/1974م، ص.13.

[6] عبد العزيز محمود لعرج، المرجع السابق، ص.19.

بعد ذلك تولى إمارة بني عبد الواد ابنه الحسن الذي حكم لمدة ستة أشهر، ثم تنازل عن الحكم لعمه عثمان بن يوسف حوالي سنة (630هـ/1232م)، الذي بقي في السلطة حوالي سنة ونصف، كان خلالها فضا غليظا، حيث اتسم حكمه بالتعسف مما عجل بخروجه من تلمسان، وهذا بعد أن ثار عليه الرعية وطردوه منها[1]، فتولى خلافته ابن عمه أبي عزة زيدان بن زيان بن ثابت بن محمد الذي حكم من 631هـ إلى 633هـ[2]، وعرفت فترة حكمه خروج قبائل بني مظهر وبني راشد[3] عن طاعته، فقام بمحاربتهم سعيا منه لإخضاعهم، إلا أنه لم يتمكن من ذلك وقتل على أيديهم خارج تلمسان سنة 633هـ/1236م[4]، ثم آلت إمارة بني عبد الواد بعده إلى أخيه يغمراسن بن زيان (633-681هـ/1236-1284م)، وأول عمل قام به هو نقض دعوة بني عبد المؤمن و استقلاله بحكم تلمسان مع الإعتراف الرمزي بالخلافة الموحدية، وبهذا قامت الدولة الزيانية التي اتخذت من تلمسان عاصمة لها، هذه الأخيرة كانت خلال فترة الحكم الزياني للمغرب الأوسط من كبريات الحواضر في المغرب الإسلامي[5].

---

[1] يحيى ابن خلدون، المصدر السابق، ج.1، ص107،108، **أنظر أيضا**: الدراجي بوزياني، المرجع السابق، ص.25،26.

[2] عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى، المرجع السابق، ص.12.

[3] **بني راشد**: كانت مواطنهم بالصحراء في الجبل العرف بجبل بني راشد، إغتنموا أوضاع المغرب الأوسط في ما بعد حلفاء لبني عبد الواد، **أنظر**: إبن خلدون، المصدر السابق، ج.7، ص.203، مختار حساني، تاريخ الدولة الزيانية، منشورات الحضارة، الجزائر، 2009، ج.3، ص.36.

[4] يحيى ابن خلدون، المصدر السابق، ج.1، ص.108، **أنظر أيضا**: الدراجي بوزياني، المرجع السابق، ص.26.

[5] عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى، المرجع السابق، ص.13، **أنظر أيضا**:
Charles Brosselard, les inscriptions arabes de Tlemcen, in Revue Africaine, Tome 5, O.P.U, Alger, 1861, p.17.

وبهذا يمكننا القول أنه بعدما دبّ الضعف في الدولة الموحدية[1]، التي حكمت كامل المغرب الإسلامي، وآل أمرها إلى الزوال خلال النصف الأول من القرن السابع هجري/ الثالث عشر ميلادي، ظهرت للوجود على الساحة السياسية بعض القبائل البربرية الكبرى، التي كانت تسعى للوصول إلى سدة الحكم، كبنو حفص الذين أسّسوا دولتهم بالمغرب الأدنى (625هـــ/1225م)[2]، وأسرة بني زيان التي استولت على تلمسان (633هـــ/1236م)، في حين ظلت مراكش خاضعة للموحدين لثلاثين سنة أخرى قبل أن تستولي عليها أسرة بني مرين[3]، حيث تعتبر الدولة الزيانية أضعف هذه الدول الثلاث وأشدها تعرضا للفتن والتقلبات، لأنها كانت تقع بين الدولتين الحفصية والمرينية، وكانت مضطرة إلى توزيع قواها على الجبهتين[4].

---

[1] **الدولة الموحدية**: تأسست سنة 524هـــ، حكمت بلاد المغرب ووصلت حتى الأندلس، قام بالدعوة لها المهدي ابن تومرت وبعد وفاته جاء التأسيس الحقيقي على يد تلميذه عبد المؤمن بن علي وكانت عاصمتها مراكش، وكان سقوطها النهائي سنة 688هـــ،**أنظر**: أبي عبد الله محمد بن إبراهيم المعروف بالزركشي (كان حيا سنة 894هـــ/1488م)، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تح. وتعليق، محمد ماضود، المكتبة العتيقة، تونس، 1966م، ط.2، ص.4-5.

[2] أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم المعروف بابن أبي دينار (ت.1110هـــ/1699م)، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، مطبعة النهضة، تونس،1931م، ط.1، ص.123، **أنظر أيضا**: سوادي محمد والحاج صالح عمار، دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، مصر، القاهرة، 2004، ط.1، ص.178،180.

[3] كولين ماكيفيدي، أطلس التاريخ الإفريقي، تر. مختار السويفي، مراجعة: محمد الغربي موسى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، القاهرة، 1987، ص.91.

[4] ساطع الحصري، دراسات عن مقدمة ابن خلدون، طبعة موسعة، دار الكتاب العربي للنشر، بيروت، لبنان،1387هـــ/1967م، ط.2، ص.55.

4- التحولات السياسية للدولة الزيانية:

مرت الدولة الزيانية طيلة ثلاث قرون من حكمها لبلاد المغرب الأوسط، بثلاث أدوار تاريخية كبرى هي:

أ- الدور الأول:

وهو يمتد من تاريخ قيام الدولة إلى غاية مقتل السلطان الزياني أبي تاشفين عبد الرحمان بن أبي حمو موسى الأول، وسقوط عاصمة الدولة تلمسان في قبضة السلطان أبي الحسن المريني، حيث بلغ عمر هذا الدور مائة وأربع سنوات (633-737هـ/1236-1336م)[1]، وأول من تولى عرش الدولة في هذا الدور هو السلطان يغمراسن بن زيان الذي دام سلطانه لمدة 48 سنة (633-681هـ)[2]، استطاع من خلالها بفضل شجاعته وقوة شخصيته أن يمدد في رقعة دولته بمساعدة القبائل البربرية والعربية الخاضعة لنفوذه[3]، وبعد وفاته خلفه ابنه أبا سعيد عثمان الذي بويع بعد موت أبيه سنة 681هـ، واستمر حكمه إلى غاية وفاته خلال حصار السلطان أبي يعقوب بن السلطان يعقوب بن عبد الحق المريني لتلمسان سنة 703هـ، وبالتالي تكون فترة حكمه قد دامت 22سنة[4]، سعى فيها للعمل بوصية والده، الذي حثه على تجنب الاصطدام مع المرينيين فقال له:" يا بني إن بني مرين بعد استفحال ملكهم واستيلائهم على الأعمال الغربية وعلى حضرة الخلافة بمراكش، لا طاقة لنا

---

[1] الدراجي بوزياني، المرجع السابق، ص.32.

[2] عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج.1، ص.16،24.

[3] المرجع نفسه، ص.21. وللمزيد عن خصال السلطان يغمراسن بن زيان، **أنظر**: لسان الدين بن الخطيب (ت.776هـ/1374م)، الإحاطة في أخبار غرناطة، تح. محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي للنشر، مصر، القاهرة، 1393هـ/1973م، ط.2، ج.1، ص.563.

[4] ابن الأحمر، تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان، المصدر السابق، ص.68.



بلقائهم..."[1] فجنح أبا سعيد إلى السلم مع بني مرين، وراح يبحث عن التوسع على حساب الدولة الحفصية من الشرق، حيث قام بحصار مدينة بجاية لكنها امتنعت عليه[2].

ومع ذلك وقع في الخطأ بإيوائه لأبي يعقوب يوسف المريني وهو ما لم يتقبله المرينيين، الذين قاموا بضرب حصار طويل على تلمسان استمر تسع سنوات (698هـ/707هـ)، وهو الحصار الذي توفي خلاله أبا سعيد عثمان سنة 703هـ[3]، فخلفه ابنه أبو زيان محمد بن عثمان (703-707هـ)، الذي حاول الصمود أمام المرينيين إلى غاية رفعهم لهذا الحصار بعد وفاة السلطان المريني يوسف بن يعقوب سنة 706هـ[4].

وبعد وفاة أبو زيان محمد خلفه أخوه أبو حمو موسى الأول (707-718هـ/ 1307-1318م)، الذي افتتح حكمه بعقد صلح مع السلطان المريني أبو ثابت (706- 708هـ/1306-1308م)[5]، فعرفت الدولة الزيانية في عهده اتساعا كبيرا في رقعتها الجغرافية، الأمر الذي ساهم في تنامي مداخيل الدولة خصوصا مداخيلها من الجبايات[6]، وبمقتل أبو حمو موسى الأول من طرف مجموعة من العلوج بتواطؤ من ابنه عبد الرحمان أبو تاشفين الأول، الذي اعتلى العرش الزياني بعد ذلك مباشرة[7]، وحاول أن يتوسع على حساب الدولة الحفصية، فقام بحصار بجاية ودخل في صراع مع أبي يحيى الحفصي (718- 747هـ/1318- 1346م)، هذا الأخير استنجد ببني مرين، فأرسل أبو سعيد المريني إلى أبي تاشفين يطلب منه الإقلاع عن حصار بجاية، فرد عليه أبي تاشفين

---

[1] ابن خلدون، المصدر السابق، ج.7، ص.123.

[2] محمد الطمار بن عمرو، تلمسان عبر العصور دورها في سياسة وحضارة الجزائر، تقديم: عبد الجليل مرتاض، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 2007، ص.102.

[3] ابن خلدون، المصدر السابق، ج.7، ص.125،127. **أنظر أيضا**: محمد بن عبد الله التنسي، المصدر السابق، ص. 130.

[4] عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى، المرجع السابق، ص.15،16.

[5] ابن خلدون، المصدر السابق، ج.7، ص.132.

[6] محمد الطمار، المرجع السابق، ص.125.

[7] محمد بن عبد الله التنسي، المصدر السابق، ص.138.

سلبا، وحينها نهض أبي الحسن المريني لغزو تلمسان سنة 732هـ إلا أنه لم يتمكن من دخولها، ثم حاول بعد ذلك غزوها ثانية سنة 735هـ، حيث حاصرها لمدة سنتين قبل أن يتمكن من دخولها عنوة سنة 737هـ/1337م، وقام بقتل أبو تاشفين وأولاده، وبالتالي أصبحت الدولة الزيانية خاضعة لسيطرة الدولة المرينية[1].

ب- الدور الثاني:

ظلت مملكة تلمسان تحت النفوذ المريني إلى غاية سنة 749هـ/1348م، وهي السنة التي استغل فيها الأميران أبو ثابت وأبو سعيد هزيمة أبي الحسن المريني المشهورة قرب القيروان، أمام قبائل العرب التي أبت أن تخضع لاستبداده، وقاما بإعادة إحياء الدولة الزيانية التي استمرت تحت حكمهما إلى غاية 755هـ/1354م[2]، تقلد خلالها أبا سعيد مراسيم الملك من سرير ومنبر، بينما تولى أبو ثابت قيادة الجيش[3]، ورغم نجاحهما في صد الهجوم الذي شنه أبي الحسن المريني على تلمسان سنة 751هـ، إلا أنهما فشلا أمام السلطان المريني الجديد أبي عنان، الذي كان من دهاة سلاطين بني مرين، ممن عرفوا بالحزم والكفاءة والعزم[4]، فتمكن من القضاء عليهما سنة 753هـ، وبهذا عاد المرينيون مرة أخرى لفرض السيطرة على سائر بلاد المغرب الأوسط[5]، لكن هذه السيطرة انتهت بمجيء السلطان أبو حمو

---

[1] ابن خلدون، المصدر السابق، ج.7، ص.143،145، **أنظر أيضا**: يحيى ابن خلدون، المصدر السابق، ج.1، ص.134- 142، عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى، المرجع السابق، ص.18،21. وللمزيد عن الصراع بين أبي تاشفين الأول وأبي يحيى الحفصي، **أنظر**: روبار برنشفيك، تاريخ إفريقية في العهد الحفصي، من القرن 13 إلى نهاية القرن 15، تر. حمادى الساحلي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، 1988، ط.1،ج.1، ص.178،179.

[2] محمد بن عبد الله التنسي، المصدر السابق، ص.149،150.

[3] يحيى ابن خلدون، الصدر السابق، ج.1، ص.151، **أنظر أيضا**: عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى، المرجع السابق، ص.25.

[4] مؤلف مجهول، زهر البستان في دولة بني زيان، السفر الثاني، تقديم وتح. عبد الحميد حاجيات، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011، ص.41.

[5] عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى، المرجع السابق، ص.31،32.

موسى الثاني (760-791هـ/1359-1390م)، الذي تمثل فترة حكمه الدور التاريخي الثاني للدولة، وقد تميز هذا الدور بالازدهار والسلطان المطلق، حيث بلغت الدولة الزيانية في هذه المرحلة ذروة تقدمها السياسي والثقافي والإقتصادي[1]، فدولة السلطان أبو حمو الثاني تعتبر من أزهى الفترات التي شهدتها الدولة العبد الوادية، التي كانت خلال هذه الفترة من تاريخها جوهرة المغرب الأوسط[2].

جـ- الدور الثالث:

استمر هذا الدور 171 سنة (791-962هـ/1388-1554م)[3]، وهو يمثل مرحلة الضعف والتقهقر بدليل كثرة السلاطين الذين تولوا حكم المملكة الزيانية[4]، وكان أولهم أبو تاشفين الثاني (791- 795هـ/1389- 1392م)، الذي تولى الحكم[5]بعد تغلبه على والده بمساعدة السلطان أحمد المريني (789-796هـ/1387- 1394م)[6]، لكن فترة حكمه لم تدم سوى أربع سنوات إنتهت بموته من وجع أصابه في بطنه سنة 795هـ/1394م[7]، فبويع أبو ثابت بن أبي تاشفين سنة 796هـ خلفا له، إلاّ أنه قتل على يد عمه الحجاج بن يوسف بن أبي حمو المشهور بابن الزابية[8]،

---

[1] الدراجي بوزياني، المرجع السابق، ص.34.

[2] مؤلف مجهول، زهر البستان..، المصدر السابق، ص.57. وما يليها، وللمزيد من المعلومات عن عهد أبو حمو موسى الثاني، **أنظر**: محمد بن عبد الله التنسي، المصدر السابق، ص.157. وما يليها.

[3] عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج.1، ص.66.

[4] رابح بونار، المغرب العربي تاريخه وثقافته، دار الهدى للنشر، عين مليلة، الجزائر، 2000، ط.3، ص.299.

[5] الدراجي بوزياني، المرجع السابق، ص.35.

[6] عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج.1، ص.59.

[7] ابن الأحمر، تاريخ الدولة الزيانية، المصدر السابق، ص.82.

[8] عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج.1، ص.67.

وهو الحال الذي استمر مع بقية السلاطين الذين تميزوا بالصراع على السلطة، الأمر الذي جعل الدولة الزيانية بين مد وجزر، حيث كانت أحيانا تحت الهيمنة المرينية وأحيانا أخرى تحت الهيمنة الحفصية[1].

إن هذه الإظطرابات الداخلية الناتجة عن الصراع والتنافس على السلطة بين أفراد البيت الزياني، إضافة إلى الهجمات المتكررة من طرف جيرانها المرينيين والحفصيين، وتوالي ثورات القبائل العربية المعارضة للسلطة الزيانية، كلها عوامل ساهمت بشكل كبير في زوال وانهيار الدولة الزيانية سنة 962هـ/ 1554م، فاتحة بذلك المجال أمام التواجد التركي بقيادة الأخوين عروج وخير الدين بربروس[2].

5 – الأوضاع الاقتصادية للدولة الزيانية:

عرفت الدولة الزيانية تقدما ملحوظا في مختلف الأنشطة الإقتصادية، وذلك بفضل دعم السلاطين والحكام الذين لم يدّخروا أي جهد في سبيل الرقي الإقتصادي، إذ يتجلى ذلك من خلال تقديم المساعدات المادية، والسعي لتوفير الأمن بالطرق التجارية، إضافة إلى تشييد المؤسّسات الإقتصادية كالفنادق والأسواق والمصانع الفائقة[3]، ومن بين الأنشطة الإقتصادية نذكر:

---

[1] للاطلاع على بقية حكام هذا الدور التاريخي (مرحلة الضعف والسقوط)، **أنظر**: ابن الأحمر، تاريخ الدولة الزيانية، المصدر السابق، ص.54- 55، محمد بن عبد الله التنسي، المصدر السابق، ص.210.وما يليها، عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج.1، ص. 67- 74، رابح بونار، المرجع السابق، ص.299- 304.

[2] محمد الطمار، المرجع السابق، ص.232، **أنظر أيضا**: رفيق خليفي، تطور إستقرار الجالية الأندلسية بالمغرب الأوسط (ق.2- 10هـ/ 8- 16م)، ضمن كتاب مغرب أوسطيات، دراسات في تاريخ وحضارة الجزائر في العصر الإسلامي الوسيط، إشراف: علاوة عمارة، منشورات مكتبة إقرأ، قسنطينة، الجزائر، 2013، ط.1، ص.97.

[3] أحمد بن محمد المقري التلمساني (ت.1041هـ/ 1631م)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح. إحسان عباس، دار صادر للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1408هـ/1988م، ج.7، ص.134.



أ- الزراعة:

كان المغرب الأوسط خلال العصر الزياني يزخر بإمكانيات جعلت منه إقليما فلاحيا بامتياز، منها وفرة مصادر المياه المتمثلة في العيون والينابيع، بالإضافة إلى القنوات والأنهار التي نذكر منها:« نهر الشلف الكبير المشهور ينصب عند مستغانم، وهو مثل النيل يزيد أيام نقص الأنهار، وعليه مجالات مغزاوة من زناتة»[1]، ونتيجة لوفرة المياه به كانت الأراضي التي تندرج ضمن سهل الشلف من أجود الأراضي خلال عهد الدولة الزيانية، حيث كان يستغل جزء منها في فصل الجفاف وذلك لوفرة المياه بالنهر المذكور[2].

إن وفرة المياه الصالحة للري لا سيما بنهر الصفصيف، ونهر الوريط، ووادي مشكانة[3]، ساهمت بقسط كبير في الإزدهار الزراعي، الذي تترجمه قوة الإنتاج الفلاحي وضخامته، الأمر الذي ينطبق على "سهل تسَّـــلَة الذي يمتد على مسافة نحو عشرين ميلاً، وينبت قمحا جيدا جميل اللون غليظ الحب، يمكنه وحده أن يزود تلمسان بما تحتاجه من حبوب"[4]، والحال نفسه بالنسبة لحوض الشلف الذي تميز بوجود مجموعة من المحاصيل الزراعية، منها القمح والشعير والحنطة[5]، أما المناطق المجاورة لهنين فكانت هي الأخرى تنتج كميات وافرة من الثمار، كالكرز والمشمش والتفاح، والإجاص والخوخ وما لا يحصى من التين والزيتون إلى درجة أنها لم تجد من يقطفها، خاصة في البساتين الواقعة على ضفة النهر القريب من هنين[6].

---

[1] ابن سعيد المغربي (ت.685هـ/1268م)، كتاب الجغرافيا، تح. إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 1982م، ط.2، ص.141.

[2] مختار حساني، المرجع السابق، ج.2، ص.26.

[3] عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج.1، ص.135.

[4] الحسن الوزان، المصدر السابق، ج.2، ص.25.

[5] مختار حساني، المرجع السابق، ج.2، ص.27.

[6] الحسن الوزان، المصدر السابق، ج.2، ص.15،16.

ومن المدن الزيانية التي خصها الحسن الوزان بالوصف مدينة الجزائر التي يقول عنها:«..ويحيط بالجزائر عدد من البساتين والأراضي المغروسة بأشجار الفواكه، ويمر قرب المدينة من الجهة الشرقية نهر نصبت عليه طاحونات. وهو يزود السكان بالماء للشرب ولأغراض أخرى» من بينها ريّ الأراضي الشاسعة، ثم قام بقياس سهل متيجة قرب مدينة الجزائر، ووصف نوعية إنتاجه من القمح قائلا:«وفي الضواحي سهول جميلة جدا، لا سيما سهل متيجة الذي يبلغ طوله حوالي خمسة وأربعين ميلا وعرضه ستة وثلاثين ميلا، حيث يُنبث القمح الجيد بكثرة»[1].

وإن كان هذا حال المدن الزيانية، فإن عاصمة الدولة تلمسان عرفت كغيرها من المدن بمناظرها الطبيعية الخلابة، وبساتينها الكثيرة، حيث قال عنها ابن سعيد المغربي: «والأندلسيون يقولون كأنها من مدن الأندلس لمياهها وبساتينها»[2]، أما انتاجها فقد تميز بالوفرة والتنوع حتى قيل أن الدائر بالبلد كله مغروس بالكرم وأنواع الثمار[3]، وهي مدينة عذبة الماء، كريمة المنبت، تشتمل على البساتين الرائقة، في خارجها مغارس الشجر ومنابت الحب[4].

وقد جسد ابن الخطيب هذه الأوصاف في صورة شعرية يمدح من خلالها تلمسان فيقول:

حيَّا تِلَمسانَ الحيَا فَربُوعُها	صُدَفٌ يَجودُ بدرِّها المَكْنُونِ

مَا شِئْتَ مِنْ فَضلِ عميمٍ إنْ سَقَى	أَرْوَى ومَن ليْسَ بِالَمْنُونِ

---

[1] الحسن الوزان، المصدر نفسه، ص.37.

[2] ابن سعيد المغربي، المصدر السابق، ص.140.

[3] محمد العبدري البلنسي (ت.725هـ/1325م)، الرحلة المغربية، تقديم: سعد بوفلاقة، منشورات بونة للبحوث والدراسات، عنابة، الجزائر، 1428هـ/2007م، ط.1، ص.28.

[4] المقري التلمساني، المصدر السابق، ج.7، ص.134.

أَوْ شِئْـتَ مِـنْ دِيْـن إذَا قَـدَحَ الهُـدَى   أوْرَى ودُنْيَـا لَـمْ تَكُـنْ بِالـدُّون
وَرَدَ النَّسِيْمُ لَهَـا بِنَشْـرِ حَدِيقَـةٍ   قَـدْ أَزْهَـرَتْ أَفْنَانُـهَا بِفُنُـون
وإِذَا حَبِيبَـةُ أُم يَحـي أنْجَبَتْ   فَلَهَـا الشُفوفُ عَلـىَ عُيـون العَيـنِ

يعني ابن الخطيب بحبيبة أم يحي عين ماءٍ بتلمسان، وهي من أعذب المياه وأخفها، كانت جارية بالقصور السلطانية[1].

كما عرفت الدولة الزيانية بإنتاج التمور، لا سيما بإقليم توات الذي قال عنه عبد الرحمن ابن خلدون: "بـه جنات من النخيل والأعناب وسائر الفواكـه، وهو على ثلاثة مراحل قبلة سجلماسة، فيه قصور متعددة تناهز المائتين، آخذة من المشرق إلى المغرب و آخرها من جانب المشرق تسمى تمنطيت*[2]، هذه الأخيرة تعتبر من بين الواحات الصحراوية المعروفة بوفرة مصادر المياه، كالأودية والآبار التي استُغِلت في سقي المزروعات[3].

وتجدر الإشارة إلى أن تربية المواشي في العصر الزياني كانت تقوم جنبا إلى جنب مع الزراعة، حيث تجمعهما علاقة تأثير وتأثر، فكلما كان المحصول الزراعي وافرا كان المنتوج الحيواني أوفر، ومن هذا المنطلق نجد أن أراضي الدولة الزيانية كانت مرتعا لمختلف الحيوانات، والماشية خاصة الأغنام والحمير والخيل، إذ كان الرعي يزاول من طرف القبائل التي توجد مضاربها ضمن محيط الدولة، مثل بني

---

[1] المقري التلمساني، المصدر نفسه، ص.129.

* **تمنطيط**: كلمة عجمية مركبة من قسمين، "أمان" ومعناها الماء، و"تيت" ومعناها العين بحيث تم احتواء أمان وتيت لتعطي إسم تمنطيط، وهذه التسمية تدل على المكانة الكبيرة التي كان يعطيها سكان القصر للماء، **أنظر**: محمد بن سويسي، العمارة الدينية الإسلامية في منطقة توات تمنطيط، من 6-13هـ/12-19م، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، إشراف: عبد العزيز محمود لعرج، جامعة الجزائر، السنة الجامعية 1428-1429هـ/2007-2008م، ص.31.

[2] ابن خلدون، المصدر السابق، ج.7، ص.76-77.

[3] عبد الله كروم، الرحلات بإقليم توات، دراسة تاريخية وأدبية للرحلات المخطوطة بخزائن توات، دار دحلب للنشر، الجزائر، 1428هـ/2007م، ص.24.

توجين[1]، الذين كانوا ينتقلون مع مواشيهم في المنطقة المحصورة ما بين جبل السرسو ومنطقة الزاب[2]. فالثروة الحيوانية تمثل عنصر هام في اقتصاد الدولة الزيانية، من خلال تزويد السكان باللحوم، ومد الصناعة بمادة الصوف.

ويصف ابن خلدون الحياة الرعوية في بلاد المغرب فيقول: "ويضعن أهل العز منهم والغلبة لانتجاع المراعي، فيما قرب من الرحلة، لا يجاوزون فيها الريف إلى الصحراء والقفار الأملس. ومكاسبهم الشاه والبقر والخيل في الغالب للركوب والنتاج. وربما كانت الإبل من مكاسب أهل النجعة منهم شأن العرب..."[3].

وأهم ما ميز النظام الزراعي في العصر الزياني نظام الإقطاع الذي ورثته عن الدولة الموحدية، حيث أبقت الدولة الزيانية على إقطاع القبائل البربرية والعربية، وأول من عمل بنظام الإقطاع في دولة بني عبد الواد هو مؤسس الدولة السلطان يغمراسن بن زيان، الذي أقطع مشايخ قبيلة سويد العامرية بلاد البطحاء وسيراة وهوارة[4]، وتبعه في هذا التقليد بقية سلاطين بني زيان.

من خلال ما سبق ذكره نستخلص أن المساحة الزراعية للدولة الزيانية كانت شاسعة، وأن إنتاجها كان وفيرا، الأمر الذي جعلها محل أطماع لجيرانها خاصة المرينيين[5]، وهو ما يفسر تأثر الزراعة في العهد الزياني بالحالة السياسية خاصة في فترات الحصار، ومن أمثلة ذلك الحصار الذي ضربته قبائل

---

[1] **بني توجين**: ومواطنهم بوادي شلف وقبلة جبل وانشريس من أرض السرسو، وهو المسمى في هذا العهد كانوا يسكنون الخيام، ولما قامت الدولة الزيانية أثرت عليهم بحيث أخذت كل أراضيهم..، **أنظر**: مختار حساني، المرجع السابق، ج.3، ص.33- 34.

[2] مختار حساني، المرجع السابق، ج.2، ص.32.

[3] ابن خلدون، المصدر السابق، ج.6، ص.116.

[4] المصدر نفسه، ص.59.

[5] شوقي الجمل، المغرب العربي الكبير من الفتح الإسلامي إلى الوقت الحاضر، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، 2007، ص.33.

توجين على السلطان يغمراسن، حيث قاموا أثناء هذا الحصار بقطع الأشجار وتخريب الرباع، وإفساد الزروع وغيرها[1].

ب- التجارة:

احتلت الدولة الزيانية مكانة ريادية في التجارة بالمنطقة، لما تتمتع به من خصائص جغرافية و اقتصادية[2]، فقد كانت مدينة تلمسان بحكم موقعها نقطة إلتقاء وتقاطع شبكة هامة من الطرق التجارية الرئيسية، إذ تشكل مركز عبور لتجار مصر والمغرب الأدنى بإتجاه المغرب الأقصى من جهة، وتربط البحر الأبيض المتوسط وموانئه بالصحراء الكبرى من جهة أخرى[3]، مما جعلها منطلقا للبضائع القادمة من أوروبا وغيرها من البلاد المسيحية نحو الصحراء، إضافة لكونها منتهى البضائع الصحراوية الواردة إليها[4]، وهذا بفضل تحكمها في المسالك المتجهة من موانئها نحو السودان الغربي[5]، حيث كانت مدينة تلمسان قبلة لتجار البلاد الإسلامية والممالك الأوروبية، وهو ما أكده القلقشندي بقوله:" ويقصدها تجار الآفاق للتجارة"[6].

وبناءا على هذا المنطلق كانت للدولة الزيانية علاقات تجارية نشطة مع أوروبا وبلاد السودان، حيث كانت القوافل التجارية تخرج من تلمسان بإتجاه السودان الغربي محملة بالمنتوجات، سواء المحلية

---

[1] علي بن عبد الله إبن أبي زرع الفاسي (ت. 726هـ/ 1326م)، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972، ص.311.

[2] رشيد بورويبة و آخرون، الجزائر في التاريخ، العهد الإسلامي من الفتح إلى بداية العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د.ت، ص.477.

[3] عبد العزيز محمود لعرج، المرجع السابق، ص.21،22.

[4] رشيد بورويبة و آخرون، المرجع السابق، ص.477.

[5] مختار حساني، المرجع السابق، ج.2، ص.135.

[6] أبي العباس القلقشندي، المصدر السابق، ج.5، ص.150.

أو الواردة إليها من الدول الأوروبية[1]، ومن بين الطرق البرية التي كانت تسلكها هذه القوافل نذكر: طريق " تلمسان- سجلماسة "، وطريق " تلمسان- توات"[2].

وقد تمثلت صادرات تلمسان في ثياب الصوف المفضلة على جنسها المصنوع في سائر بلاد المغرب، بالإضافة إلى لجم الخيل والسروج وما يتبع ذلك[3] من مختلف المنتوجات والصادرات، التي كسب منها التجار الزيانيين أرباحا كبيرة، مما يعني أنهم كانوا ميسوري الحال، ودليل ذلك وصف الحسن الوزان لفئة التجار قائلا: «فالتجار أناس منصفون مخلصون جدا و أمناء في تجارتهم، يحرصون على أن تكون مدينتهم مزودة بالمؤن على أحسن وجه. وأهم أسفارهم التجارية هي التي يقومون بها إلى بلاد السودان، وهم وافروا الغنى أملاكا و نقودا»[4]، ومع ذلك نجدهم يتنقلون على رأس قوافلهم، ومن بين هؤلاء التجار نجد التاجر الحاج زيان الذي رافق ابن بطوطة في رحلته إلى بلاد السودان، فذكره قائلا:«وكان في القافلة تاجر تلمساني يعرف بالحاج زيان»[5]. أمّا السلع التي كانت تستوردها الدولة الزيانية من السودان الغربي فهي تشمل الذهب وريش النعام والعاج و الرقيق الأسود[6].

أما علاقاتها التجارية مع الدول المسيحية، فقد تمت من خلال إبرام معاهدات ذات طابع سلمي تجاري بينهما، تنص في أغلبها على حماية التجار ومصالحهم في مدن بلاد المغرب، والتي بموجبها استقرت جاليات تجارية إيطالية وفرنسية وأراغونية قطلانية في مدن وهران، تلمسان وهنين[7]، التي

---

[1] رابح بونار، المرجع السابق، ص.286.

[2] لطيفة بشاري، المرجع السابق، ص.45-46.

[3] ابن سعيد المغربي، المرجع السابق، ص.140.

[4] الحسن الوزان، المصدر السابق، ج.2، ص.21.

[5] محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي المعروف بإبن بطوطة(ت.756هـ/ 1355م)، رحلة إبن بطوطة المسماة، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، المطبعة الأزهرية، مصر، القاهرة، 1346هـ/1928، ط.1، ج.2، ص.190.

[6] عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج.1، ص. 216.

[7] لطيفة بشاري، المرجع السابق، ص.82.



يصفها الحسن الوزان فيقول:«هنين. . .لها ميناء صغير محروس ببرجين كل واحد منـــهما في جهـــة، تحيط بها أسوار عالية متينة، لا سيما من جهة البحر، وتأتي إلى هذا المينـــاء سنويا سفن شراعية مـــن البندقية، تحقق أرباحا جسيمة مع تجار تلمسان»[1]، وهو ما يؤكد انتعاش النشاط التجاري في الدولة الزيانية، والذي تمخض عنه بروز شركات تجارية كبرى، مثل شركة الإخوة المقري بتلمسان التي تعتبر شركة رائدة في التجارة، لها فروع في كل من تلمسان وسجلماسة والسودان الغربي، وكان كل فرع يديره أخوين، حيث كان كل واحد في موقعه يتحرى السوق وعلى أساسها يقوم بعقد الصـــفقات، وهو ما ساعد على اتساع أموالهم وعِظَمِ شأنهم[2].

ج- الصناعة:

اشتهرت الدولة الزيانية بالإنتاج النباتي والحيواني، مما وفر لها المواد الأولية كالقطن والحرير والكتان، إضافة إلى الأصواف والجلود التي استخدمت في الصناعات النسيجية والصناعات الجلدية المختلفة، كما توفرت فيها بعض المعادن التي ساعدت على قيام صناعة معدنية متطورة، خاصة في مدينة هنين التي وصفها كربخال بقوله:" توجد بها معادن كثيرة للحديد والفولاذ "[3]، ومن أبرز المظاهر الدّالة على رقي وازدهار الصناعة الزيانية، حركة القوافل التجارية التي كانت تجوب معظم البلدان والأقطار، محملة بمختلف المنتوجات المصنعة سعيا منها لتسويقها، وبالتالي تمنع عنها الكساد، ضف إلى ذلك اهتمام السلاطين الزيانيين ببناء المصانع وتوفير اليد العاملة من الأسرى والرهائن، واستثمارها في تطوير الصناعة[4]، بالإضافة إلى الهجرة الأندلسية التي ساهمت بشكل كبير في ازدهار

---

[1] الحسن الوزان، المصدر السابق، ج.2، ص.15.

[2] المقري التلمساني، المصدر السابق، ج.5، ص.205،206، **أنظر أيضا**: رابح بونار، المرجع السابق، ص.286.

[3] مارمول كربخال، إفريقيا، تر.محمد حجي وأخرون، مطابع المعارف الجديدة، الرباط، المغرب، 1409هـ/1989م، ج.2، ص.296،297.

[4] خالد بلعربي، تاريخ الدولة الزيانية في عهد يغمراسن، دراسة تاريخية وحضارية، 633-681هـ/ 1235-1282، دار الألمعية للنشر والتوزيع، قسنطينة، الجزائر، 2011، ط.1، ص.236.

النشاط الصناعي أواخر عهد الدولة الزيانية[1]، وذلك من خلال التأثير الأندلسي الذي امتد في مختلف مجالات الصناعة لقرون طويلة[2].

ونتيجة لذلك وصفت تلمسان عاصمة الدولة الزيانية "بكثرة صنائعها"[3]، ومصانعها التي يصفها النميري بقوله:" وبها مصانع يعجز عن وصفها كل لسان"[4]؛ منها ما يختص بالنسيج والورق و المعادن والفخار والمجوهرات وغيرها من باقي الصناعات المختلفة[5].

من خلال ما سبق ذكره نستنتج أنَّ الدولة الزيانية رغم سوء الأحوال السياسية، والحروب التي عرفتها طيلة فترات حكمها لبلاد المغرب الأوسط، إلا أن الأوضاع الإقتصادية كانت مزدهرة في عهدها، وذلك بفضل إمكانياتها الطبيعية وعناية سكانها بمختلف الأنشطة الإقتصادية، إذ ازدهرت الزراعة وكثر إنتاجها، وتنوعت الصناعة فنشطت بذلك التجارة الداخلية بين حواضر المغرب الأوسط، والخارجية مع دول جنوب أوروبا من جهة، ودول جنوب الصحراء المتمثلة في ممالك السودان الغربي من جهة أخرى، وهو ما يبرهن قولنا السابق، والذي مفاده أن عاصمة الدولة تلمسان تعد من أهم مناطق العبور التجاري في بلاد المغرب الإسلامي.

---

[1] مختار حساني، المرجع السابق، ج.2، ص.82.

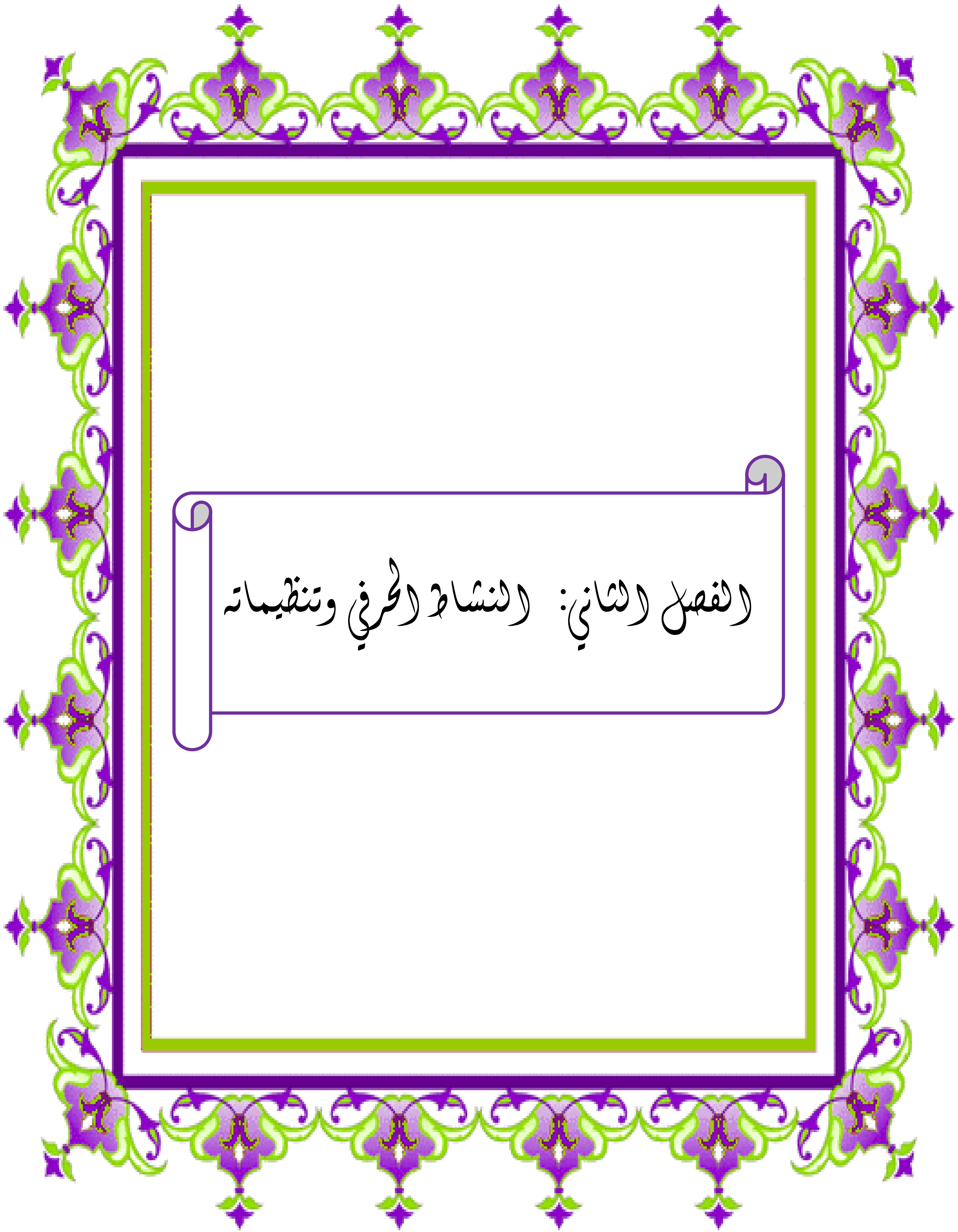
[2] جمال يحياوي، أثار الهجرة الأندلسية على تلمسان، مجلة الوعي، عدد (3-4)، مركز ودار القران الكريم للدراسات والبحوث، الجزائر، 1432هـ/2011م، ص.93.

[3] ابن سعيد المغربي، المصدر السابق، ص.140.

[4] إبراهيم بن عبد الله بن محمد المعروف بابن الحاج النميري (ت.774هـ/ 1372م)، فيض العباب وإفاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب، دراسة وإعداد: محمد ابن شقرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1990، ط.1، ص.488.

[5] عمار عمورة، موجز تاريخ الجزائر، دار ريحانة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002، ط.1، ص.85.





الفصل الثاني: النشاط الحرفي وتنظيماته

1- الفرق بين الحرفة والصناعة:

أ- مدلول الحرفة:

- **لغة:** مأخوذة من الفعل حَرَفَ، فتقول العرب أَحْرَفَ مالُ الرجلِ إِحْرافا بمعنى نما وكثر[1]، والحرفة اسم من الإحتراف وهو الاكتساب[2] وحريف الرجل هو معامله في حرفته[3] ونجدها أيضا بمعنى الصناعة وهي وجهة الكسب التي يرتزق منها الصانع[4].

- **إصطلاحا:** الحرفة في الإصطلاح هي وسيلة الكسب من زراعة وصناعة وتجارة وغيرها[5]، والحرفي هو الشخص الذي يكسب عيشه بالعمل في حرفة بصفة مستمرة ومنتظمة[6]، وعليه فالحرفة عموما هي الإستغناء من الفقر عن طريق الإكتساب بممارسة حرفة ما، تؤدي ممارستها إلى تحقيق منفعة عامة[7].

---

[1] أحمد الشرباصي، المعجم الاقتصادي الإسلامي، دار الجيل للنشر، بيروت، لبنان، 1401هـ/1981م، ص.111.

[2] أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور (ت.711هـ/1211م)، لسان العرب، دار صادر للنشر، بيروت، لبنان، د.ت، ج.9، ص.43.

[3] محمد عمارة، قاموس المصطلحات الاقتصادية في الحضارة الإسلامية، دار الشروق للنشر، بيروت، لبنان، 1413هـ/1993م، ط.1، ص.169.

[4] ابن منظور، المصدر السابق، ج.9، ص.44.

[5] مجمع اللغة العربية، المعجم الوجيز، طبعة خاصة بوزارة التربية والتعليم، مصر، القاهرة، 1415هـ/1994م، ص.146.

[6] مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية للنشر، مصر، القاهرة، 1425هـ/2004م، ص.167.

[7] ابن منظور، المصدر السابق، ج.9، ص.44، **أنظر أيضا:** أحمد الشرباصي، المرجع السابق، ص.111.



ب- مدلول الصناعة:

- **لغة:** مأخوذة من الفعل صنع بمعنى عمل[1]، وهي حرفة الصانع وعمله الصنعة. فنقول رجل صنيع اليدين أي صانع حاذق، وامرأة صنيعة اليدين بمعنى أنها حاذقة وماهرة في عمل اليدين[2].

- **إصطلاحا:** هي كل علم أو فن يمارسه الإنسان حتى يمهر فيه ويصبح حرفة له[3]، وعليه فالصناعة هي مهنة يحترفها الصانع، شريطة التحلي بالإنتظام والديمومة في ممارستها[4].

جـ – أقسام الصناعات عند إخوان الصفا وابن خلدون:

اهتم المسلمون منذ غابر الزمان بالحرف والصناعات، فكان من رحمة الله سبحانه وتعالى أن علم بعض أنبيائه أنواعا من الصناعات لتكون أنموذجا يحتذيها بنو البشر، فعلم نوح عليه السلام صناعة السفن فقال:" **وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا** "[5] وعلم داوود عليه السلام إلانة الحديد فقال في محكم تنزيله" **وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ**"[6]، ومع انتشار الإسلام كثرت الحرف والصناعات، فلجأ المؤرخون إلى تصنيفها وتبيان أنواعها، ومن بين هؤلاء المؤرخين" إخوان الصفا وابن خلدون".

---

[1] رينهارت دوزي، تكملة المعاجم العربية، تر.محمد سليم النعيمي، دار الرشيد للنشر، العراق، 1981م، ط.1، ج.6، ص.472.

[2] ابن منظور، المصدر السابق، ج.8، ص.209، **أنظر أيضا**: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادي (ت.817هـ/1414م)، القاموس المحيط، تح. مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، إشراف: محمد نعيم الوقسوسي، مؤسسة الرسالة للنشر، بيروت، لبنان، 1426هـ/2005م، ط.8، ص.739.

[3] مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، المرجع السابق، ص.525.

[4] مجمع اللغة العربية، المعجم الوجيز، المرجع السابق، ص.372.

[5] سورة هود، الآية (37).

[6] سورة سبأ، الآية (10).



1- إخوان الصفا:[1]

قسم إخوان الصفا الصناعات إلى قسمين بسيطة ومركبة، البسيطة وهي أربعة أنواع: النار، الهواء، الماء، الأرض. أما المركبة فتكون من إحدى العناصر السابقة، وهي تتعلق بالأجسام المعدنية والنباتية والحيوانية وكلها من مصنوعات الطبيعة[2]، أما من حيث شرفها فكل الصنائع عندهم شريفة ولا توجد حسبهم صنعة وضيعة، حيث يعتبرون أن هناك صناعات شريفة من جهة الهيولة (مادة الصنع) كالصّاغة والعطارين وما شاكلها، أو من جهة الحاجة الضرورية إليها كالحراثة والحياكة والبناء، أما التي شرفها من جهة المنفعة العامة فهي تتمثل في الحمامين والكناسين وغيرهم، وهناك أيضا الشريفة من حيث المصنوع كآلات الرصد والاسطرلاب[3].

2- ابن خلدون:

يعرف ابن خلدون الصناعة " بأنها ملكة في أمر عملي فكري...والملكة صفة راسخة تحصل عن استعمال ذلك الفعل وتكرره مرة بعد أخرى. حتى ترسخ صورته"[4]، وقد قسم الصناعات إلى قسمين أيضا مستفيدا في ذلك من تقسيم إخوان الصفا، لكن برؤية مغايرة لهم. حيث اعتبر أن البسيطة تكمن في ضروريات المعاش من نجارة وحياكة وخياطة وحدادة..إلخ، أما المركبة حسبه فهي غير ضرورية

---

[1] **إخوان الصفا**: طائفة شبعية سرية أسسها زيد بن رفاعة بمدينة البصرة، لها فروع في أكثر البلاد، وهي تضم جماعة جامعين لأصناف العلم وأنواع الصناعة، منهم أبو سليمان البستي وأبو أحمد المهرجاني وغيرهم، أبرز معتقداتهم: أن الشريعة قد دنست بالجهالات، اختلطت بالضلالة، ولا سبيل لغسلها وتطهيرها الا بالفلسفة، **أنظر**: محمود إسماعيل، إخوان الصفا رواد التنوير في الفكر العربي، دار عامر للطباعة والنشر، المنصورة، 1996، ط.1، صز43.

[2] إخوان الصفا (ق.4هـ/10م)، رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا، تر. أحمد زكي، دار نخبة الأخبار للنشر، مصر، القاهرة، 1419هـ/ 1998م، ص.106.

[3] المصدر نفسه، ص.110.

[4] ابن خلدون، المقدمة، إعتناء ودراسة: أحمد الزغبي، دار الأرقم للنشر، بيروت، لبنان، 1422هـ/2001م، ص.436.



لأنه يجعلها من الكماليات، ويعتبرها من جملة ما تدعوا إليه عوائد الترف وأحواله. كالشعر والغناء وأمثال ذلك[1].

وفيما يخص شرف الصنائع قال أن الصناعات الشريفة هي التي تستمد شرفها من تيسيرها الإتصال بالسلطان وحاشيته، مثل التوليد والكتابة والوراقة والغناء والطب، ويرى أن سبب شرفها في جعلها مدعاة لمخالطة الملوك في خلواتهم، وحضور مجالس أنسهم، وبذلك نالت شرفا ليس لسواها من بقية الصنائع[2].

والصناعة من وجهة نظر ابن خلدون لا تكتمل إلا بكمال العمران الحضري وكثرته، حيث أنه ربط رسوخ الصنائع في الأمصار برسوخ الحضارة وطول أمدها، كما تطرق لعوامل تطور الصناعات واستجادتها من جهة، وأسباب تناقصها من جهة أخرى[3].

د- في الفرق بين الحرفة والصناعة:

من خلال ما سبق ذكره نلاحظ وجود تداخل المفاهيم بين المصطلحين، الأمر الذي نتج عنه تباين وجهات النظر واختلافها، فهناك من ميز بين الحرفة والصناعة وذلك بحصر هذه الأخيرة فيما هو مكتسب بالممارسة والتمرن، ومن ثمة الحكم على أن الحرفة أشمل من الصناعة[4]، بينما تذهب الباحثة عائشة غطاس إلى القول بأنه لا وجود لأي فرق بينهما فالصناعة والحرفة حسب تصورها وجهان لعملة واحدة[5].

---

[1] ابن خلدون، المصدر نفسه، ص.436،437.

[2] المصدر نفسه، ص.442.

[3] المصدر نفسه، ص.437،438،439،440.

[4] عائشة غطاس، الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر 1700- 1830م، مقاربة اجتماعية واقتصادية، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث، إشراف: مولاي بلحميسي، جامعة الجزائر، السنة الجامعية: 2000- 2001م، ص.146.

[5] المرجع نفسه، ص.147.

أما الرأي الثالث فمضمونه أن الصناعة أشمل وأخص من الحرفة، لأنها تجمع بين العلم والفن[1]، ومنه فالحرفة تدخل ضمن الصناعة بمعنى أنها درجة من درجاتها كما أنها ترتبط بها وتعتبر جزءا منها[2]، لأن الحرفي لا يمكنه أن يكون صانع إلا إذا مارس فنا أو علما ومهر فيه وبالتالي يصبح حرفة له[3]، وهو ما يؤكده ابن خلدون بقوله:" إعلم أن الصناعة هي ملكة في أمرعملي فكري... والملكة صفة راسخة تحصل عن استعمال ذلك الفعل وتكرره مرة بعد أخرى حتى ترسخ صورته"[4].

ومن خلال بحثي في هذا الموضوع أرى أن الحرفة والصناعة يلتقيان في حاجة كل منهما إلى الديمومة والإستمرارية، إضافة إلى كونهما وسيلة من وسائل الكسب، وفرع من فروع النشاط الإقتصادي، أما الفرق بينهما فيتمثل في إدخال العلم وتطبيقه على الصناعة، ومن ثمة أصبحت هذه الأخيرة تتطلب يد عاملة متخصصة في شتى الصناعات على خلاف الحرفة، ومنه نخلص إلى أن الصناعة أخص وأشمل من الحرفة – والله أعلم–

2– إنتشار الحرف في الدولة الزيانية:

1– في البوادي:

عُرف المغرب الأوسط طيلة فترات العصر الوسيط بطابعه القبلي والبدوي، حيث انتشرت في معظم أرجائه قبائل بدوية كثيرة[5]، ما جعل ابن خلدون يركز في دراسته للمجتمع المغربي على تقسيمه إلى بدو وحضر، فَعرَّفَ البدو على أنهم "المنتحِلُون للمعاش الطبيعي من الفلح والقيام على الأنعام، وأنهم

[1] رينهارت دوزي، المرجع السابق،ج.6، ص.474.

[2] صالح شريف كميل، النشاط الإقتصادي لغير المسلمين في الدولة الإسلامية، دراسة فقهية، مجلة جامعة النجاح الوطنية للأبحاث، عدد.15، نابلس، فلسطين، 2001م، ص.91،92.

[3] رينهارت دوزي، المرجع السابق،ج.6، ص.474، **أنظر أيضا**: مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، المرجع السابق، ص.525.

[4] ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص.436.

[5] جودت عبد الكريم يوسف، الأوضاع الإقتصادية والإجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث والرابع هجري (9–10م)، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، د.ت، ص.247.



مقتصرون على الضروري من الأقوات والملابس والمساكن وسائر الأحوال والعوائد، ومقصرون عما فوق ذلك من حاجي وكمالي، يتخذون البيوت من الشَّعر والوبر أو الشجر من الطين والحجارة...وقد يأوون إلى الغيران والكهوف"[1].

بناءا على هذا التعريف نجد أن أهم ما ميَّز المغرب الأوسط الزياني هو انتشار القرى والبوادي حول المدن الكبرى أو ما يعرف بالحواضر، ومن بينها حاضرة تلمسان التي كانت حواليها قبائل كثيرة من زناتة وغيرهم من البربر، كما أن لها قرى كثيرة وعمائر متصلة[2]، وفي معظم أقاليمها سهول خصبة، وعدد لا يحصى من الجبال المنتجة[3]، ومن بين الأنشطة الحرفية التي مُورست في البوادي والأرياف المنتشرة حول مدينة تلمسان نذكر:

أ- حرفة الفلاحة:

تعتبر الفلاحة من أقدم الأنشطة الحرفية التي تقوم على اتخاذ الأقوات والحبوب، بالقيام على إثارة الأرض لها وازدراعها، وعلاج نباتها، وتعهده بالسقي والتنمية حتى بلوغ غايته، ثم حصاد سنبله واستخراج حبه[4].

وقد مُورس هذا النشاط في قرى وبوادي تلمسان، حيث استعملت في الفلاحة وسائل مختلفة كإستعمال المحراث والثيران في الحِرَاثة، واعتماد اليد العاملة في الحصاد وجمع السنابل، واستخدام الخيل أو البغال في عملية الدرس[5]، وإلى جانب الزراعة وُجِدت أيضا غراسة الأشجار والبساتين خارج حاضرة تلمسان، وهو ما يؤكده الحسن الوزان بقوله: "وخارج تلمسان ممتلكات هائلة فيها دور

---

[1] ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص.149.

[2] مؤلف مجهول (ق. 6هـ/12م)، الإستبصار في عجائب الأمصار، تح. سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة، أفاق عربية، بغداد، د.ت، ص.176، **أنظر أيضا**: عبد المنعم الحميري، المصدر السابق، ص.135.

[3] الحسن الوزان، المصدر السابق، ج.2، ص.10.

[4] ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص.442.

[5] الحاج محمد بن رمضان شاوش، باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 2011، ج.2، ص.06.

جميلة، وبها الكروم المعروشة التي تنتج أعنابا من كل لون طيبة المذاق جدا، وأنواع الكرز الكثيرة التي لم أر لها مثيلا في جهة أخرى. والتين الشديد الحلاوة...والخوخ واللوز والجوز"[1]، إضافة إلى حدائق الرمان[2]، وأشجار الزيتون التي تستخرج منها كميات كبيرة من الزيت[3].

كما كانت الجبال والهضاب المحيطة بتلمسان تُستَغل ويحرث منها ما هو صالح للحرث والفلح، حيث ساهمت بشكل كبير في وفرة المحاصيل الزراعية بجميع أصنافها، التي زادت عن حاجة السكان إليها، مما جعل الزيانيون يلجأون إلى ادخارها في المطامير[4] لوقت الحاجة إليها، خاصة أيام الحروب والأزمات الناتجة عن الحصار[5].

ومما ساعد على هذه الوفرة الانتاجية السياسة الرشيدة لبعض السلاطين الذين أولوا اهتمامهم وعنايتهم بمثل هذه الأنشطة من خلال إحياء موات الأرض، وإقطاع الأراضي، وهو ما قام به السلطان أبي الحسن الذي أقطع الفقيه ابن مرزوق المدشر المعروف بترشت – وهوعلى بعد أميال من تلمسان– فأقام به الجنان والبساتين[6]، كما كانت لأسرة ابن مرزوق التلمساني أراضي خصبة بمنطقة العباد، يزرعون فيها الحبوب وأشجار الفواكه على اختلافها، كالرمان والسفرجل والتفاح...وغيرها من الفواكه[7]، وقد قام هذا السلطان أيضا بإعمار طريق المسافرين من فاس إلى تلمسان على بعد اثني

[1] الحسن الوزان، المصدر السابق، ج.2، ص.20.

[2] يحيى ابن خلدون، المصدر السابق، ج.1، ص.10.

[3] مارمول كربخال، المصدر السابق، ج.2، ص.299.

[4] كان يوجد بتلمسان حي يعرف بـــ"حومة المطمر"، وهو يقع غرب المدينة، ويضم مخازن ومطامير عديدة، معدة لخزن المؤن والسلع من قمح وشعير وملح ولحم مدخرة تعرف بالمسلي أو القديد، وغيرها من المواد الغذائية التي تصلح للتخزين، أنظر: عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج.1، ص. 122.

[5] محمد بن رمضان شاوش، المرجع السابق، ج.2، ص.06.

[6] أبي عبد الله محمد ابن مرزوق التلمساني (ت.781هـــ/1379م)، المناقب المرزوقية، تح. سلوى الزاهري، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، المملكة المغربية، 1429هـــ/2008م، ط.1، ص.280.

[7] المصدر نفسه، ص.155.

عشر ميلا، فأمد السكان بالخيام وأقطعهم الأراضي، وفي مقابل ذلك ألزمهم ببيع الشعير والطعام للمسافرين الذين يمرون بهذا الطريق[1].

إضافة إلى تشجيع السلاطين وُجِد عامل آخر تمثل في نظام الري الذي كان يتصف بدقة التنظيم، إذ يذكر الونشريسي أن أصحاب البساتين والجنات التي بخارج تلمسان كانوا يتعاونون على سقي مزروعاتهم وبساتينهم من عين ماء مشتركة بينهم، بحصص دورية وبأوقات معلومة[2]، وهو ما يفسر تنوع المنتوجات الفلاحية في بوادي تلمسان التي لم يقتصر الإنتاج فيها على الحنطة والشعير فقط، بل عرفت زراعة الأشجار وفلاحتها، فضلا على زراعة أنواع كثيرة من الخضر والبقول[3].

وهذا فضلا عن الدور الذي لعبته النظم المتبعة في زراعة الأرض كنظام الشراكة، ونظام الخماسة الذي كان يتم بموجب عقد يبرم بين صاحب العمل أو الأرض والخماس، الذي كان يأخذ على عاتقه مسؤولية الإهتمام بالمزروعات من يوم زراعتها إلى حين حصادها، مقابل خمس ما يتم جنيه، إلا أن هذا النظام طاله الفساد، حيث أصبح الخماس في الكثير من الأحيان مجرد أجير بالثوب والطعام وبعض ضروريات المعاش لا غير[4]، يضاف إلى ذلك نظام المغارسة الذي كان يتم هو الآخر بموجب عقد بين صاحب الأرض والعامل الذي يتولى خدمته الأرض وزراعتها[5].

---

[1] أبي عبد الله محمد ابن مرزوق التلمساني (ت.781هـ/1379م)، المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، تح. ماريا خيسوس بيغيرا، تقديم محمود بوعياد، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1401هـ/1981م، ص.429.

[2] أبي العباس أحمد بن يحيى الونشريسي (ت.914هـ/1511م)، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، تح. محمد حجي، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، المملكة المغربية، 1401هـ/1981م، ج.5، ص.111،335.

[3] الدراجي بوزياني، المرجع السابق، ص.212.

[4] محمد حسن، المدينة والبادية بإفريقية في العهد الحفصي، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة تونس الأولى، 1999م، ج.1، ص.427.

[5] أبي العباس الونشريسي، المصدر السابق، ج.7، ص. 436.

أما الجوائح[1] والعوائق التي كانت تقف حاجزا أمام الفلاحين بالبوادي التلمسانية فهي تتجلى في (الجفاف، القحط، الفيضانات، والأعاصير..) إضافة إلى الفقر ونقص وسائل الإنتاج، التي نتج عنها بقاء الكثير من الأراضي بورا وعرضة لمختلف أنواع الحشائش كالدوم والقندول، لذلك لجأ الفلاحون إلى الإعتماد على نظام "**التويزة**"[2] كحل للتعاون فيما بينهم على خدمة الأرض وفلحها[3]، وبالتالي فالفلاحة كانت من أبرز الأنشطة الحرفية التي مارسها أهل البوادي بتلمسان، فعملوا على تطوير الزراعة وتجديدها بإستعمال أساليب وطرق زراعية متطورة، لا سيما على ضفتي وادي الوريط خارج أسوار تلمسان[4].

ب– حرفة الرعي وتربية الحيوانات:

كانت تربية الحيوانات في كثير من الأحيان مرتبطة بالزراعة، لذلك نجدها من الحرف التي انتشرت في ضواحي تلمسان، وتبوأت درجة عالية من الإهتمام بإعتبارها وجها من أوجه الكسب والمعاش[5]، كما أنها جزء من النشاط الفلاحي، نظرا لإستخدام هذه الحيوانات في أعمال الزراعة من حرث ودرس، ونقل المحاصيل للمطامير، فضلا عن توفيرها للمواد الأولية كالجلود والأصواف التي تستعمل

---

[1] **الجوائح**: مفردها الجائحة وهي الآفة والمصيبة التي تجتاح الأموال والثمار وتأتي عليها، **أنظر**: محمد عمارة، المرجع السابق، ص.139.

[2] **التويزة**: هي سخرة تفرض على فلاحي القبيلة، الذين يحرثون أرض القائد يوما كاملا، وهذه السخرة من حق أصحاب الأرضين أو مستأجريها، كما عرفت أيضا بأنها تعاون بين الفلاحين الصغار المتجاورين في فترات العمل الكثيف، كموسم الحصاد وموسم الحرث، وجمع الزيتون حيث يسخر كل فلاح وسائل عمله الخاصة للخدمة دون تلقي أجر نقدي، وكان صاحب الأرض لا يتأخر عن استضافة معاونيه تكريما لهم واعترافا منه بجميلهم، **أنظر**: رينهارت دوزي، المرجع السابق، ج.2، ص.79، 80، **وأنظر أيضا**: حسن بهلول، القطاع التقليدي والتناقضات الهيكلية في الزراعة بالجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1971م، ص.293.

[3] محمد بن رمضان شاوش، المرجع السابق، ج.2، ص.6.

[4] عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج.1، ص.177.

[5] ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص.419، 420.

في نسج الألبسة الصوفية الرفيعة[1]، كما كانت البغال والفرس والأحمرة مراكب تتخذ للأسفار[2] ونقل الأحمال، لذلك نهى الفقهاء عن أذية البهائم والعنف معها كإثقالها بالأحمال وإرهاقها في سرعة المشي بالضرب والزجر[3].

أما تربيتها فقد كانت من اختصاص أهل الجبال والوهاد[4] الذين يعملون في الغالب بتربية الماشية، كتوجين ومغراوة[5]، ولعل أبرز الحيوانات التي كانوا يقومون بتربيتها الخيل والجياد، التي وصلت شهرتها إلى حد تسمية أحد أبواب تلمسان "بباب الجياد" لقربه من الإصطبل[6]. وفي وصف هذا الباب يقول الفقيه الناظم أبو عبد الله محمد بن يوسف الثغري الأندلسي[7]، في مطلع قصيدة نظمها للسلطان أبو حمو الثاني (760- 791هـ):

---

[1] سكينة عميور، ريف المغرب الأوسط في القرنين 5و6هـ/11و12م، دراسة إقتصادية إجتماعية، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ، إشراف إبراهيم بكير بحاز، جامعة قسنطينة 02، السنة الجامعية 2012-2013م، ص.150.

[2] ابن مرزوق، المناقب المرزوقية، المصدر السابق، ص.225.

[3] أبي عبد الله محمد بن أحمد بن قاسم بن سعيد العقباني (ت. 871هـ/1467م)، تحفة الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر، تح. علي الشنوفي، نشر في:

Extrait du Bulletin d'études orientales de l'Institut Français DE DAMAS Tome XIX 1967 p.69.

[4] محمد بن رمضان شاوش، المرجع السابق، ج.2، ص.07.

[5] يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج.1، ص.134، **أنظر أيضا**: الدراجي بوزياني، المرجع السابق، ص.213.

[6] محمد بن رمضان شاوش، المرجع السابق،ج.2، ص.07.

[7] هو فقيه وشاعر من شعراء الجزائر الذين ولدوا بالأندلس، ورغم شح المعلومات عن سيرته الذاتية إلا أن المختصين يعدونه ضمن مشاهير شعراء تلمسان، والمعروف عنه أنه كان كاتب الإنشاء في ديوان أبي حمو موسى الثاني وشاعره الفذ الأول، كما أنه ألف عددا معتبرا من القصائد في المديح الديني بمناسبة احياء المولد النبوي الشريف في قصر المشور، وذلك في عهد كل من السلطان أبي حمو الثاني وخليفته أبي تاشفين الثاني وأبي زيان الثاني، ومن مدحه لأبي حمو أيضا قوله: **فَأَرِيْحُوا الجِيَادْ أَتْعَبْتُمُوهَا وَأَقِرُوا السُيُوفَ فِيْ الأَغمَادِ** **أنظر**: جيلالي صاري، تلمسان الزيانية، إرهاصات ظهور الدولة الجزائرية في العصر الحديث، تر. مسعــود حاج مسعــود، دار=

أَيُّهـــَـــا الحَافِظُونَ عَهـْـدَ الــودَادِ جَدِدُوا أُنْسَــــنَا بِبــَابِ الجِيـــــــَـادِ
وصِلُوهَا أَصَائـــِــــــلاً بِلَيـَـــال كِــلاَل نُضْــمِنَ فـِـي الأجْيـــَــــادِ
فِــي رِيَــاض مُنضِــدَات المَجــَانِي بَيْــنَ تِلْكَ الِربــَا وتِــلكَ الوِهــَــــادِ[1]

ومما ساعد على كثرة المواشي غنى المناطق الخارجة عن تلمسان بالمراعي، خصوصا بعد عملية الحصاد حيث تتحول المساحات الزراعية إلى مسارح للحيوانات[2]، وتجدر الإشارة إلى بعض الحرف الأخرى التي ارتبطت بتربية المواشي، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر "حرفة الجلاب"، وهو شخص يحترف التجارة في الأغنام بالبيع والشراء في أسواق تلمسان[3].

والملاحظ أن النشاط الرعوي كان يتأثر بجملة من العوامل التي تؤثر عليه، مثل الحروب والصراعات التي عاشتها بلاد المغرب الأوسط في العصر الزياني، مما أدى إلى تراجع أعداد القطعان، وانحصار نشاط الرعي في نطاق ضيق لا يتعدى أحواز وضواحي مدينة تلمسان.[4]

كما عرفت البوادي الزيانية انتشار بعض الحرف الأخرى كحرفة جمع والتقاط الخشب، الذي كان يستعمل في عدة مجالات منها؛ التدفئة وطهي الطعام[5]، وفي هذا الصدد يذكر لنا ابن صعد أن هنالك

=القصبة للنشر، الجزائر، 2011م، ص.110،111، شوقي ضيف، عصر الدول والإمارات، الجزائر- المغرب الأقصى- موريطانيا- السودان، دار المعارف للنشر، مصر، القاهرة، 1995م، ط.1، 139.

[1] شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني (ت.1041هـ/1631م)، أزهار الرياض في أخبار عياض، تح. مصطفى السقا وأخرون، مطبعة لجنة التأليف والترجمة للنشر، مصر، القاهرة، 1359هـ/1940م، ج.2، ص.329.

[2] فاطمة بلهواري، النشاط الرعوي في بلاد المغرب خلال القرن الرابع هجري/العاشر ميلادي، دورية كان التاريخية، عدد8، يونيو 2010، ص.29،30.

[3] ابن مرزوق، المناقب المرزوقية، المصدر السابق، ص.162،173.

[4] سكينة عميور، المرجع السابق، ص.152.

[5] المرجع نفسه، ص.164.

من النساء من كانت تلقط الحطب، ثم تحمله على ظهرها لتستعمله في طهي خبزها وخبز جيرانها[1]، وهنالك أيضا من كان يحتطب العزف من الجبال ويصنع به حصرا للصلاة فيبيعها ويتعيش بثمنها[2]، ومن بين هذه الجبال جبل بني ورنيد، وجبل أغبال الذي كان معظم سكانه يجمعون الأخشاب، ويحملونها إلى تلمسان ووهران ليبيعونها في أسواق الحطب[3]، فضلا عن حرفة الصيد سواء كان صيد بري أو بحري[4]، حيث كان سكان مدينة دلس يزاولون حرفة اصطياد السمك بالشباك، فيحصلون على كمية وافرة منه، لا تباع ولا تشترى، وانما يهدونه لمن يرغب فيه دون مقابل[5].

وبهذا يمكن القول أن حرفتي الإحتطاب والصيد كانتا من أهم الأشطة الحرفية التي مورست في القرى والبوادي والجبال التلمسانية.

2- في الحواضر:

عرفت حواضر الدولة الزيانية انتشارا واسعا لجملة من الأنشطة الحرفية، كالنسيج والبناء والتعدين..وما شابهها من الصناعات الحرفية، وبما أنني قلت سابقا أن الحرفة تدخل ضمن الصناعة، إرتأيت التطرق لهذه الحرف في الفصل الخاص بالصناعات، أما بقية الأنشطة الحرفية فنذكر منها:

[1] أبي الفضل محمد إبن صعد الأنصاري التلمساني (ت.901هـ/1496م)، روضة النسرين في التعريف بالأشياخ الأربعة المتأخرين، مراجعة وتح. يحي بوعزيز، منشورات ANEP، الأبيار، الجزائر، 2002م، ص.201.

[2] أبي يعقوب يوسف بن يحيى التادلي المعروف بإبن الزيات (ت.617هـ/1220م)، التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، تح. أحمد التوفيق، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، المملكة المغربية، 1997، ط.2، ص.294.

[3] الحسن الوزان، المصدر السابق، ج.2، ص.44.

[4] جودت عبد الكريم يوسف، المرجع السابق، ص.119.

[5] الحسن الوزان، المصدر السابق، ج.2، ص.42.



أ- التجارة:

كانت المدن الزيانية تلعب دورا بارزا في تطوير النشاط التجاري بحكم موقعها الاستراتيجي، خصوصا مدينة تلمسان التي أصبحت تتحكم في الطرق التجارية الهامة[1]، فكثر بها العاملين في حرفة التجارة حتى أنهم كونوا طبقة خاصة من التجار[2]، الذين كانوا أمناء ومخلصين في تجارتهم[3]، فغدت بذلك المدينة مقصدا لتجار الآفاق[4].

أما السلع التي كانوا يتاجرون فيها فهي كثيرة؛ منها ما هو مجلوب من غينيا كالتبر والعنبر والمسك والرقيق الأسود[5]، اضافة إلى العقيق والعلك والفلفل والعود المجلوب من الحجاز[6]، كما كان بعض التجار يحترفون في تجارة البّز، حيث يورد لنا الونشريسي في هذا الصدد نازلة كبرى في شبه كتاب تحاور فيها الفقيهان الكبيران سعيد بن محمد العقباني (871هـ/1467م) قاضي سلا، ومفتي فاس أحمد بن قاسم القباب (778هـ/1376م)[7]، حول الحاكة الذين ينسجون الثياب، وتجار البز الذين يشترون منهم هذه الثياب ثم يبيعونها[1].

---

[1] مختار حساني، المرجع السابق، ج.2، ص.44.

[2] بسام كامل عبد الرزاق شقدان، المرجع السابق، ص.193.

[3] الحسن الوزان، المصدر السابق، ج.2، ص.21.

[4] أبي العباس أحمد القلقشندي، المصدر السابق، ج.5، ص.150.

[5] مارمول كربخال، المصدر السابق، ج.2، ص.300.

[6] ابن مرزوق، المناقب المرزوقية، المصدر السابق، ص.254.

[7] هو أحمد بن قاسم بن عبد الرحمان الشهير بلقب القباب، الإمام الحافظ، والعلامة الصالح الزاهد، كان مفتيا بفاس، وهو أول من نقل عنه أبي العباس الونشريسي في تأليفه للمعيار، كما نقل عنه أبي القاسم البرزلي في ديوانه، وذلك نظرا لمعرفته للدين والفضل، ولكونه من طبقة العلماء العاملين، من أهم مؤلفاته: اختصار أحكام النظر لابن القطان، وشرح قواعد القاضي عياض، وشرح آخر على بيوع ابن جماعة التونسي، كما أن له مؤلف ذو صلة بهذه المناظرة أسماه لباب اللباب في مناظرة القباب، وله مباحث مشهورة مع الإمام الشاطبي في مسألة مراعاة الخلاف في المذهب المالكي، الذي يعد القباب أحد أكبر علمائه حفظا وتحقيقا، وتقدما وجلالة، **أنظر**: أحمد بابا التمبكتي (ت. 1036هـ/1627م)، نيل الإبتهاج بتطريز الديباج، إشراف وتقديم: عبد الحميد عبد الله الهرامة، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، الجماهرية العربية الليبية، 1398هـ/1989م، ط.1، ص.102- 104، **وانظر**:=

وعلى غرار العاصمة تلمسان نجد مدينة وجدة، التي اشتهر أهلها بالتجارة في الأحمرة والبغال الجميلة، ومدينة وهران التي كانت بها من التجارات والمؤسسات ما تتميز به كل مدينة متحضرة، فأصبحت بذلك مهبطا للتجار القطلانيّين والجنويّين والبنادقة، ومثلها في ذلك مدينة هنين[2]، وغيرها من مدن الدولة الزيانية.

ب- الطب:

إهتم الزيانيون بدراسة الطب[3]، وإنشاء البيمارستانات لمداواة المرضى ومعالجتهم، والتخفيف من آلامهم ومعاناتهم[4]، إلا أن هذه البيمارستانات قد إرتكز وجودها في المدن والحواضر الكبرى، بينما ينعدم توفرها في البوادي والأرياف، وهو ما يفسر نقص الرعاية الصحية بها[5]، ومن بين هذه الحواضر نجد مدينة بجاية التي تكثر بجبالها النباتات المستعملة في صناعة الطب[6]، ومدينة المنصورة التي شيد بها

=أبي العباس أحمد الشهير بابن قنفد القسنطيني (ت.810هـ/1408م)، الوفيات، تح. وتعليق، عادل نويهض، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، 1403هـ/1983م، ط.4، ص.370.

1 أبي العباس الونشريسي، المصدر السابق، ج.5، ص.297- 326، **أنظر أيضا**: محمد حجي، نظرات في النوازل الفقهية، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، سلا، المملكة المغربية، 1420هـ/ 1999م، ط.1، ص.136.

2 الحسن الوزان، المصدر السابق، ج.2، ص.13،15،30، **أنظر أيضا**: مارمول كربخال، المصدر السابق، ج.2، ص.295،329.

3 مختار حساني، المرجع السابق، ج.2، ص.198.

4 عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج.1، ص.247.

5 سمية مزدور، المجاعات والأوبئة في المغرب الأوسط (588- 927هـ/ 1192- 1520م)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، إشراف: محمد الأمين بلغيث، جامعة منتوري، قسنطينة، السنة الجامعية، 1429- 1430م/ 2008- 2009م، ص.162.

6 عبد المنعم الحميري، المصدر السابق، ص.80، **أنظر أيضا**: الحسن الوزان، المصدر السابق، ج.2، ص50.

يوسف بن يعقوب المريني (675- 706هـ/ 1286- 1306م)[1]، بيمارستانا خلال فترة حصاره الطويل لتلمسان[2]، وجهزه بمختلف الوسائل المادية والبشرية[3]، فمن الأولى الأدوية المتمثلة في الغرغار والعشاري وحب الزنم الذي يصلح لمعالجة الأمراض التناسلية والجنسية، وحب العروس المستخدم في علاج الصداع ووجع الأسنان وغيرها[4]، أما الوسائل البشرية فتشمل أساسا محترفي مهنة الطب، ومن أمثلتهم على سبيل المثال لا الحصر محمد بن علي بن فشوش، وأبو اسحاق ابراهيم بن محمد التلمساني الطبيب، وأبو الفضل المشدالي التلمساني (ت.866هـ/ 1461م)[5] وغيرهم.

وما نلاحظه هنا هو أن حرفة الطب لم تقتصر على المسلمين فقط، بل كان هنالك أطباء يهوديين مهرة، كالطبيب الذي أشار إليه ابن مرزوق ولم يذكر اسمه[6]، إضافة إلى موشي بن صمويل بن يهود الإسرائيلي المالقي الأندلسي اليهودي المتطبب والمعروف بإبن الأشقر، وهو من أشهر الأطباء وأمهرهم

---

[1] هو الأمير يوسف بن يعقوب المريني، ولد في شهر ربيع الأول من سنة 638هـ/ 1240م، بويع بالخلافة في الجزيرة الخضراء من بلاد الأندلس بعد وفاة والده سنة 675هـ/ 1286م، من أهم أعماله إنهاء سيطرة يغمراسن بن زيان أمير بني عبد الواد على مدينة سجلماسة، وبنائه لمدينة المنصورة بتلمسان، أما عن تاريخ وفاته فيبقى محل اختلاف بين المؤرخين، ومن المرجح أنه توفي في سنة 706هـ/ 1306م، **أنظر**: ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص.374، نضال مؤيد مال الله عزيز الأعرجي، الدولة المرينية في عهد السلطان يوسف بن يعقوب المريني (675- 706هـ/1286- 1306م)، دراسة سياسية حضارية، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الاسلامي، إشراف: عبد الواحد دنون طه، جامعة الموصل، بغداد، السنة الجامعية، 1425هـ/ 2004م، ص.15- 28.

[2] دام هذا الحصار حوالي تسع سنوات (698- 707هـ/ 1299- 1307م)، وكان سببا رئيسيا في حدوث المجاعة التي اجتاحت تلمسان في هذه الفترة- أي فترة الحصار- وساهمت بشكل أو بآخر في تفشي الأوبئة والأمراض التي فتكت بالمجتمع التلمساني، ولم ينج منها إلا بضعة آلاف من الناس، **أنظر**: خالد بلعربي، المجاعات والأوبئة بتلمسان في العهد الزياني، دورية كان التاريخية، السنة الثانية، عدد.4، يونيو 2009، ص.22.

[3] يحيى ابن خلدون، المصدر السابق، ج.1، ص.121، **أنظر أيضا**: محمد بن عبد الله التنسي، المصدر السابق، ص.130، سمية مزدور، المرجع السابق، ص.162.

[4] عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج.1، ص.246.

[5] المرجع نفسه، ص. 249- 250.

[6] ابن مرزوق، المسند، المصدر السابق، ص.381.

قدوة وحذقا في ميدان الطب[1]. ومنه فإن حرفة الطب كانت من أهم المهن التي مورست في الحواضر، وذلك نظرا لما لها من أهمية بالغة في الحفاظ على صحة الناس وسلامتهم من مختلف الأمراض.

ج- النسخ والوراقة:

إحتلت تلمسان مكانة مرموقة بين حواضر المغرب الأوسط كلها، إذ تعد أحد المراكز المشعة للعلم والأدب والفنون[2]، حيث بلغت فيها صناعة الكتب تأليفا ونسخا وجمعا درجة عالية من الإتقان[3]، كما ازدهرت بها حرفة نسخ المصاحف وأمهات الكتب الدينية؛ المشرقية منها والمغربية، فضلا عن المصنفات التلمسانية المحلية، من كتب علمية وأدبية، فبرز بذلك حرفيون يمتهنون فن الخط والتجليد والتوريق والتزويق، وتذهيب العناوين وتلوين بعض حروفها بما يليق ومضامينها[4]، حتى أصبح الناس يتنافسون في نسخ المؤلفات والمصاحف على طريقة أهل الأندلس خطا وضبطا[5]، لا يبعد عن خط الغَّطوُسِيَات[6]، ومن هؤلاء النّساخ نجد الوادي آشي الذي كان يحترف بالنسخ[7]، وأبو زيد عبد الرحيم بن أبي العيش الذي كان عالما بالوثائق ذو خط بارع، فضلا عن المتعبد الكبير أبو عبد الله ابن

---

[1] عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج.1، ص.249.

[2] الدراجي بوزياني، أدباء وشعراء من تلمسان، دار الأمل للدراسات والنشر والتوزيع، الجزائر، 2011م، ج.1، ص.05.

[3] أبي عبد الله محمد الشريف التلمساني (ت.771هـ/1369م)، مفتاح الوصول إلى بناء الفروع على الأصول ويليه كتاب مثارات الغلط في الأدلة، دراسة وتح. محمد علي فركوس، مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1419هـ/1998م، ط.1، ص.33.

[4] عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج.2، ص.336.

[5] ابن مرزوق، المناقب المرزوقية، المصدر السابق، ص.148، **أنظر أيضا**: ابن مرزوق، المسند، المصدر السابق، ص.313.

[6] **الخط الغطوسي**: هو خط اشتهرت به أسرة ابن غطوس الأندلسية، وإليها ينسب، كان يستعمل غالبا في كتابة المصاحف، لأنه خط له حسن فائق، ورونق آخذ بالعقل، وترتيب يشهد لصاحبه بكثرة الصبر والتجويد، **أنظر**: المقري التلمساني، نفح الطيب، المصدر السابق، ج.3، ص.151، ابن مرزوق، المناقب المرزوقية، المصدر السابق، ص.148، هامش رقم.31.

[7] المقري التلمساني، أزهار الرياض، المصدر السابق، ج.3، ص.308.

البلد الذي كان يتعيش من احترافه للنسخ[1]، ومن أبرز المصاحف التي نسخت في هذا العصر مصحف عثمان الذي استولى عليه السلطان يغمراسن بن زيان وضمه إلى نفائس تلمسان[2].

و لم تكن هذه الحرفة مرتبطة بالخطاطين والفقهاء فحسب، بل مارسها حتى بعض السلاطين الزيانيين مثل السلطان أبو حمو موسى الثاني، الذي كان مولعا بالكتابة فألف كتابه "واسطة السلوك في سياسة الملوك"، وشيد العديد من المكتبات وأجرى عليها الأوقاف[3]، حتى بلغت في عهده حرفة أو فن النسخ والوراقة ذروة ازدهارها وتطورها[4].

3- الورشات(المراكز) الحرفية وتنظيمها:

ظهرت نتيجة الإنتشار الواسع للنشاط الحرفي الذي عرفته الدولة الزيانية عدة ورشات حرفية، تمثلت في الحوانيت والدكاكين، إضافة إلى الأسواق التي كانت موزعة على مختلف الساحات والأزقة[5] والدروب، حيث كان لكل حرفي من الحرفيين مكان أو دكان خاص به يزاول فيه نشاطه، ومن هؤلاء الحرفيين نجد الفقيه والصالح الأمين" أبو زيد عبد الرحمان بن النجار" الذي كان يحترف بحياكة الصوف الرفيع، التي اختصت بها تلمسان في درب شاكر، فكان معظم ما في هذا الدرب من دكاكين وتربيعات له ولخدامه، ينتجون فيها أكسية الصوف الرفيعة التي يلبسها ملوك إفريقية والمغرب آنذاك، فنالت بذلك هذه الألبسة الصوفية شهرة واسعة حتى غدت مقصد للتجار من كل بلاد[6].

---

1 ابن مرزوق، المناقب المرزوقية، المصدر السابق، ص.111.

2 يحيى ابن خلدون، المصدر السابق، ج.1، ص.114، **أنظر أيضا**: محمد بن عبد الله التنسي، المصدر السابق، ص.123.

3 بسام كامل عبد الرزاق شقدان، المرجع السابق، ص.244.

4 الدراجي بوزياني، شعراء وأدباء، المرجع السابق، ص.301.

5 الحسن الوزان، المصدر السابق، ج.2، ص.19، **أنظر أيضا**: مارمول كربخال، المصدر السابق، ج.2، ص.299.

6 ابن مرزوق، المناقب المرزوقية، المصدر السابق، ص.188،189، **أنظر أيضا**: ابن مرزوق، المسند، المصدر السابق، ص.129.

كما نجد أيضا الشيخ الصالح أبي العباس بن القطان الذي يمتهن حرفة الخياطة والتجارة في دكان له بسوق القيصارية[1]، ومثاله في ذلك الفقيه أبو اسحاق ابراهيم بن علي الخياط، الذي كان أيضا يتعيش بما يكسبه من الخياطة في حانوته الموجود بالموضع المعروف بهم الآن "بالقبابين" في تلمسان[2]، والتي وُجِدت بها أيضا دكاكين خاصة بالدباغة والخرازة في وسط الأحياء السكنية[3]، وحوانيت لبيع الخبز، ولعل دليل ذلك الرواية التي أوردها ابن قنفد القسنطيني عن توبة أبو علي عمر الحياك التلمساني، يوم تشييع جثمان الشيخ أبي مدين شعيب (ت.594هـ/1197م)، إذ يقول بأنه إشترى في طريقه خبزة من عند الخباز[4]، وهو ما يؤكد لنا وجود حانوت أو دكان الخبز.

يضاف إلى هذه الحوانيت والدكاكين كما سبق وأن أشرت الأسواق، التي تعتبر من أهم المراكز التي مورس فيها النشاط الحرفي، بإعتبار أن أصحاب الحرف هم أيضا تجار، كانوا يزاولون أنشطتهم بالأسواق التي كانت في معظمها موزعة على الساحات والشوارع بوسط المدينة[5]، ومن أهم هذه الأسواق، سوق العطارين[6]، سوق الكتب[7]، سوق منشار الجلد[8]، وسوق الخياطين والنساجين[9]، إضافة إلى سوق الخميس الذي كان يعقد بمعسكر كل أسبوع، يباع فيه عدد وافر من الماشية

---

[1] ابن مرزوق، المناقب المرزوقية، المصدر نفسه، ص.161، 162.

[2] المصدر نفسه، ص.180، **أنظر أيضا**: عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق،ج.1، ص.156.

[3] العقباني التلمساني، المصدر السابق، ص.67.

[4] أبي العباس أحمد الخطيب الشهير بابن قنفد القسنطيني (ت.810هـ/1408م)، أنس الفقير وعز الحقير، نشره وصححه، محمد الفاسي وأدولف فور، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، جامعة محمد الخامس، الرباط، د.ت، ص.104، **أنظر أيضا**: خالد بلعربي، الأسواق في المغرب الأوسط خلال العصر الزياني، دورية كان التاريخية، عدد.6، ديسمبر2009، ص.32.

[5] عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج.1، ص.134.

[6] ابن الزيات التادلي، المصدر السابق، ص.447.

[7] ابن مرزوق، المسند، المصدر السابق، ص.460.

[8] خالد بالعربي، الأسواق، المرجع السابق، ص.32، **أنظر أيضا**: محمد بن رمضان شاوش، المرجع السابق، ج.2، ص.8.

[9] عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج.1، ص.134.

والحبوب والزيت والعسل، وكثير من المنسوجات والمنتوجات المحلية[1]، وما هذه إلا عينة صغيرة من الأسواق الكثيرة التي عرفتها الدولة الزيانية[2].

وإلى جانب هذه الأسواق وجدت بتلمسان أيضا "القيصارية"، وهي عبارة عن سوق كبير أسسه السلطان أبو حمو موسى الأول (707- 718هـ/1307- 1318م)، فوق مساحة كبيرة بوسط مدينة تلمسان[3]، وهي تحتوي على مجموعة من البنايات العمومية المبنية على شكل رواق مستطيل، يتوسطها طريق تتفرع منه أروقة وزنقات[4]، أقيمت بها محلات تجارية وورشات صناعية ومخازن، وفي بعض الأحيان نجد بها مساكن فوق الحوانيت[5]، ومنه فالقيصرية تختلف في هيكلها عن السوق العادي بسعتها الكبيرة، لأنها تشتمل على عدة أروقة مغطاة تتوسطها ساحة فسيحة، في حين أن السوق يشتمل على رواق واحد فقط[6].

---

[1] الحسن الوزان، المصدر السابق، ج.2، ص.26،27.

[2] لمزيد من المعلومات عن باقي الأسواق الزيانية التي لم يتم ذكرها، **أنظر**: خالد بلعربي، الأسواق، المرجع السابق، ص.32،37، عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج.1، ص.135.

[3] لطيفة بشاري، المرجع السابق، ص.115.

[4] عمر بلوط، الفنادق في مدينة تلمسان الزيانية، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الآثار الإسلامية، إشراف: عبد العزيز محمود لعرج، جامعة الجزائر، السنة الجامعية 2003- 2004م، ص.74.

[5] عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج.1، ص.135.

[6] لطيفة بشاري، المرجع السابق، ص115، هامش رقم (2).



4- الطوائف الحرفية:

أ- تعريفها:

كانت الأسواق في الدولة الزيانية تمثل الوسط الذي ينشط فيه الانسان إقتصاديا، والإطار الذي تنتظم فيه التركيبة السكانية لأنه عندما تتزايد حاجات السكان وتتطور، تصبح بحاجة إلى تجمع أو اتحاد يجمع أبناء التخصص الواحد[1] يُعرف بالطائفة الحرفية، وهي تنظيم شعبي يشبه حاليا نظام النقابات أو الإتحادات المهنية، حيث تتجمع كل طائفة في مكان واحد وتتسمى بنوع الحرفة التي تمارسها[2]، ونظرا لكون هؤلاء الحرفيين كانوا تجارا أيضا، فإننا نجد أن الأسواق في العصر الزياني كانت مشكلة من عدة طوائف حرفية تسمى بمسمياتها، مثل سوق الغزل، سوق العطارين، الدرازين، الحدادين، الخياطين، الصباغين والنساجين[3]، وغيرها من الحرف والصنائع التي كانت موزعة على مختلف الساحات والأزقة[4].

أما الحرف التي كانت تتسبب في تلوث محيط المدينة وإزعاج الناس فكانت تمارس خارج الأسوار، كدباغة الجلود والصباغة والحدادة[5]، ومثلها في ذلك الأرحية التي تحتاج هي الأخرى إلى وفرة الماء وتدفقه بقوة، لذلك نجدها منتشرة بكثرة على ضفاف الأنهار والمجاري المائية النابعة من البوادي[6].

---

[1] زهية بن كردرة، أسواق مدينة الجزائر من الفتح الإسلامي إلى العهد العثماني من خلال المصادر، دراسة تحليلية، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الآثار الإسلامية، إشراف: ناصر الدين سعيدوني، جامعة الجزائر، السنة الجامعية، 1999،2000م، ص.170.

[2] عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج.1، ص.220.

[3] خالد بلعربي، الأسواق..، المرجع السابق، ص.33، **أنظر أيضا:**

-Attalah Dhina, Les états l'occident musulman aux XIII et xv siècle. Institutions Gouvernementales et administratives, Office des phlications universitaires, ENAL, Alger, P.348,349.

[4] الحسن الوزان، المصدر السابق، ج.2، ص.19.

[5] سمية مزدور، المرجع السابق، ص.62، **أنظر أيضا:** عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج.1، ص.220.

[6] أبو عبيد الله البكري (ت.487هـ/ 1094م)، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، دار الكتاب الإسلامي للنشر، مصر، القاهرة، د.ت، ص.79، **أنظر أيضا:** الحسن الوزان، المصدر السابق، ج.2، ص.20.

ب- نشأة الطوائف الحرفية وتنظيمها:

إن أصل الطوائف الحرفية يرجع إلى عصور قديمة، حيث عرفت عند الإغريق بإسم " LES hétairies" أي المجتمع، أو "Collège" وفي عهد الرومان أسس"NUMA" إمبراطور روما مجمعات حرفية وظيفتها تقسيم المدينة إلى طائفتين، وتقسيم الشعب إلى طبقات صغيرة حسب الحرف والمهن، وكانت كل طائفة تمارس حرفة أو مهنة معينة[1].

واستمرت هذه الطوائف في الوجود خلال العصور الوسطى من التاريخ الإسلامي، لا سيما في بلاد المغرب الأوسط الذي تميز بنظام الطوائف الحرفية المتخصصة[2]، حيث كان الحرفيون والصناع يشعرون بوجود رابط من نوع خاص يؤلف بين قلوبهم، ويتجلى هذا الرابط في الأخوة المهنية ووحدة المصالح، ومن هنا أدرك هؤلاء الحرفيين والصناع حاجتهم إلى جماعة ينتمون إليها، تساعدهم حين لا تنفع قرابة النسب أو الدم في توفير الأمن لهم، فكانت هذه الحاجة المُلِحة نواة لبروز الطوائف الحرفية في فترة العصر الوسيط[3].

أما عن الشكل التنظيمي للحرفة فتجدر الإشارة إلى أن كل حرفة كان لها رئيس، أو شيخ يعرف باسم "أمين الحرفة"[4]، والذي كان يتم تعيينه إما بالإختيار أو الإنتخاب، وذلك بحضور المحتسب وموافقته[5]، مما يعني أنه تنظيم شعبي خالص، بإعتباره التنظيم الذي لم يخضع للدولة[6]. وقد جرت العادة في قضية الإنتماء إلى الحرفة على أن يتدرج الحرفي في الصنعة، فيبدأ إنتسابه لها كمبتدئ "صبي صغير"، ثم يرتقي إلى مرتبة عامل أو صانع مدرب، وبعد اكتسابه للخبرة يصبح معلما، ومن المعلم

---

[1] زهية بن كردرة، المرجع السابق، ص.170.

[2] عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج.1، ص.220، **أنظر أيضا**:.Attalah Dhina, Op.cit, p.348

[3] جودت عبد الكريم يوسف، المرجع السابق، ص.88.

[4] عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج.1، ص.222.

[5] نافذ سويد، الحرفيون ودورهم في تطور المدينة العربية الإسلامية، مجلة التراث العربي، مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب، السنة.19، عدد.76، دمشق، 1420هـ/ 1999م، ص.153.

[6] عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج.1، ص.223.



يتدرج إلى الرئاسة[1]. وكانت ترقيته إلى رتبة معلم تتم في إحتفال رسمي تقرأ فيه الفاتحة والتراتيل الدينية، ثم تتم بعد ذلك مراسم شد وسطه بحزام، مع عقد عدة عقد من قبل كبار المعلمين الحاضرين في هذا الإحتفال، وبعدها يقوم الحرفي المُرقى بأداء اليمين أو التعهد بالإلتزام في ممارسة واجباته، وعدم الخروج عنها والإخلاص لها، ثم تأتي المرحلة الأخيرة التي ينتهي بها الإحتفال وهي تناول الطعام على شرف المُحتَفى به، والذي يقدمه لهم الصبي المرقى[2].

ج- وظائف ومهام الطوائف الحرفية:

يمكن أن نستشف مهام ووظائف الطائفة الحرفية من خلال واجبات أمينها أو شيخها، وهي الوظائف التي يمكن تلخيصها في النقاط التالية:

- تنظيم العلاقة بين الدولة أو السلطة الحاكمة وأرباب الحرف من جهة والعلاقات مع الناس من جهة أخرى.
- المحافظة على نوعية الإنتاج، وتحديد أسعار المنتوجات الحرفية، كما أنها تسهر على سن القوانين التي من شأنها أن تحمي الأعضاء المنخرطين فيها، وتضمن لهم حقوقهم المختلفة[3].
- منح الإذن أو الموافقة لمن يريد الإنضمام للطائفة، حيث يُلزَم كل راغب في ممارسة مهنة أو حرفة معينة بأخذ الترخيص من الطائفة ورئيسها.
- تنظيم الإنتاج ووضع مقاييس الجودة للمصنوعات، ومن ثمة معاقبة كل العمال والصناع المخالفين لهذه المقاييس[4].
- تعليم أسرار المهنة للصبية، وتحديد علاقتهم بمعلميهم، وذلك في شكل عقد مبرم بين المعلم والصبي.

---

1 نافذ سويد، المرجع السابق، ص.153.

2 نافذ سويد، المرجع السابق، ص.153،154.

3 زهية بن كردرة، المرجع السابق، ص.170،172.

4 جودت عبد الكريم يوسف، المرجع السابق، ص.89.



- فض التزاعات التي تحدث بين أفراد الطائفة الواحدة، وحماية المجتمع من التدليس الذي قد يحدث في سوء الصنعة. وبالتالي فإن أمين الحرفة يكون في كل الأحوال مسؤولا أمام ممثل السلطة في السوق ألا وهو المحتسب[1]، ويمكن اعتبار هذه النقاط من أبرز مهام الطوائف الحرفية التي وقفت عليها خلال بحثي في هذا الموضوع.

5- الحسبة على الحرف والصناعات:

الحسبة في اللغة مصدر لفعل الإحتساب[2]، وهو طلب الأجر من الله سبحانه وتعالى[3]، أما شرعا فهي الأمر بالمعروف إذا ظهر تركه، والنهي عن المنكر إذا ظهر فعله[4]،مصداقا لقوله تعالى:" **وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**"[5].

وقد عُرفت اصطلاحا بأنها وظيفة دينية من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الذي هو فرض على القائم بأمور المسلمين يعين لذلك من يراه أهلا له، فيتعين فرضه عليه ويتخذ الأعوان على ذلك، فيبحث عن المنكرات ويعزر ويؤدب على قدرها[6]، ويضيف على ذلك المجيلدي بقوله:" إعلم أن الحسبة من أعظم الخطط الدينية، وهي بين خطة القضاء وخطة الشرطة، جامعة بين نظر شرعي

---

[1] نافذ سويد، المرجع السابق، ص.154.

[2] محمد عمارة، المرجع السابق، ص.171.

[3] هاشم يحيى الملاح، الحسبة في الحضارة الإسلامية، منشورات المنظمة العربية للتنمية الإدارية، مصر، القاهرة، 2007، ص.3.

[4] عبد الرحمان بن علي الشيباني (ت.944هـ/1537م)، بغية الإربة في معرفة أحكام الحسبة، تح. طلال بن جميل الرفاعي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1423هـ/2002م، ط.1، ص.54. **أنظر أيضا**: محمد عمارة، المرجع السابق، ص.171، .Attalah Dhina, Op.cit, p.350

[5] آل عمران، الأية (104).

[6] ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص.257.



ديني وزجر سياسي سلطاني"[1]، يعرف من يتولاها في البلد بالمحتسب[2]، ويساعده في القيام بمهامه أعوان ومساعدون يقلون أو يكثرون حسب الحاجة، وما يتطلبه وضع السوق والحالة الإجتماعية بشكل عام. وقد كان المحتسب إذا كلف أحد أعوانه بمهمة قصد المبيعات والمصنوعات، فإنه لا يبقيه على هذه المهمة لمدة طويلة، وإنما يقوم بتغييره بين الفينة والأخرى حرصا منه على تفادي الإتفاقات التي كانت تتم بينه وبين الحرفي أو الصانع[3].

وكان المحتسب يمشي بنفسه إلى الأسواق رفقة أعوانه، حاملا معه ميزانه الذي يزن به البضائع والسلع التي يشك بوقوع الغش فيها كالخبز وغيره[4]، ومن الخطط التي كان يتبعها المحتسب في مراقبة أصحاب الحرف والصنائع الإعتماد على الصبية أو الجواري في الإبتياع منهم، ثم يقوم بإختبار الوزن والتأكد من مطابقته للموازين والمكاييل المنصوص عليها، فإذا وجد نقص في الميزان يقيس على ذلك حاله مع الناس ويطبق العقوبة المناسبة لكل حالة[5]، والتي إما تكون بالتوبيخ والزجر أولا، وبالسجن والإنذار ثانيا، وبالضرب والتشهير ثالثا، وبالتنكيل والنفي من السوق والبلد رابعا، وهي أقصى درجات العقاب[6].

فالحسبة لها أهمية كبيرة في قمع الغش، وحماية مصالح الدولة والمجتمع[7]، لذا غمرها السلاطين الزيانييّن بعنايتهم الخاصة، ودليل ذلك وصية السلطان أبو حمو موسى الثاني لولي عهده أبي تاشفين

---

[1] أحمد بن سعيد المجيلدي (ت.1094هـ/1683م)، التيسير في أحكام التسعير، تح. موسى لقبال، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1401هـ/1981م، ط.2، ص.42.

[2] إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تح. أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1410هـ/1990م، ط.4، ج.1، ص.110.

[3] عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج.1، ص.227.

[4] المقري التلمساني، نفح الطيب، المصدر السابق، ج.1، ص.218.

[5] المصدر نفسه، ص.219.

[6] عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج.1، ص.228.

[7] Attalah Dhina, Op.cit, p.350.



الثاني والتي يقول له فيها:" يا بني إن فراستك في صاحب الحسبة، تجري عليه في امتحانه بمثل هذه النسبة، إلى أن تتعرف أحواله، وما صار إليه مئاله"[1].

ومن أثار الحسبة في الدولة الزيانية على الحرف والصناعات ما دوًنه قاضي الجماعة[2]، الفقيه قاسم بن سعيد العقباني التلمساني[3] عن مهام المحتسب ودوره في تحًرِي مظاهر الغش والمخالفات التي نذكر منها:

أ- الحسبة على الحرف والصنائع النسيجية والجلدية:

أولت السلطة الزيانية عناية كبيرة للحسبة على المنسوجات والملابس، سعيا منها لتلبية إحتياجات الناس من جهة، ولضمان الجودة والإتقان في صنعها من جهة أخرى[4]، لذلك كان السلطان أبي الحسن يأمر صناع ثياب الخز بأن يكون السًدي من الصوف أكثر[5]، ومن دلائل عناية السلاطين أيضا نجد مقياس الذراع الذي أمر به السلطان أبو تاشفين الأول سنة 728هـ/1328م، وقام بتعليقه في سوق القيصارية ليقتدي به بائعي الأقمشة[6].

---

[1] أبو حمو موسى بن زيان (ت.791هـ/1389م)، واسطة السلوك في سياسة الملوك، طبع بالمطبعة التونسية، تونس، 1379هـ/1862م، ص.153.

[2] يقابل قاضي الجماعة بالمشرق منصب قاضي القضاة، وهو يعين من قبل السلطان بعد البحث كفاءاتهم ومؤهلاتهم العلمية، ووظيفته هي النظر في الشكاوي والخصومات، والفصل في المنازعات بحيث تكتسي أحكامه أهمية بالغة، **أنظر**: خالد بلعربي، بنية الجهاز القضائي بالمغرب الأوسط في العهد الزياني، دورية كان التاريخية، العدد.12، يونيو 2011، ص.108.

[3] هو القاضي أبو عثمان سعيد بن محمد العقباني التلمساني أول نجباء بيته، كان ذو نبل ونباهة ودراية وتفنن في العلوم، ومهارة وحذق في الحساب والهندسة، ولي منصب قاضي الجماعة بمدن تلمسان، بجاية، مراكش، سلا، وهران، وهنين. فحمدت في جميعها حسن سيرته وعدالته، وإضافة إلى القضاء كان العقباني أيضا خطيبا للجامع الأعظم بتلمسان، **أنظر**: يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج.1، ص.60.

[4] هاشم يحي الملاح، المرجع السابق، ص.191.

[5] ابن مرزوق، المسند، المصدر السابق، ص.130.

[6] عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج.1، ص.229.



وقد عالج المحتسبون في هذا المجال عدة مسائل، منها نهيهم عن رش الكتان بالماء، وجعله في المواضع الندية ليكتسب رطوبة من شأنها أن تؤدي إلى ثقله عند الوزن، وتجدر الإشارة إلى أن هذا الفعل لم يقتصر على الرجال فقط، فالنساء أيضا كن يدلكن الغزل بالماء ليتحسن وجهه ويزيد وزنه، لذلك كان المحتسب يأمر بائعي الغزل بتجفيفه وتيبيسه[1]، وينهيهم عن بيعه مكببا لأن النساء يدلسن فيه ليزيد لهن في الوزن[2]، إضافة إلى هذا فقد أمدتنا كتب النوازل عن بعض طرق الغش، كإقدام الحاكة على تبييض الأكسية بالكبريت[3]. وللحد من هذا الغش أفتى الونشريسي بعدم جواز شراء الثوب وأداء ثمنه قبل تمام نسجه[4].

كما كانت الحسبة أيضا على الدباغين والخرازين، الذين كانوا يقومون بنشر الجلود وبسطها لتجف على أرصفة الطرقات، لا سيما جلود الأبقار، مما أدى إلى تشويه المنظر العام للمدينة، نتيجة انبعاث الروائح الكريهة والإخلال بشروط النظافة، ما حتم على المحتسب معاقبتهم وإرغامهم على نشر جلودهم خارج الأحياء والتجمعات السكانية[5]، أما المصنوعات الجلدية التي نهى المحتسب عن صنعها نجد الخفاف أو النعال الصَرّارة (التي لها عامدات)، وذلك لأن النساء لما يلبسنها ويمشين بها في الأسواق يلفتن النظر، ويلهين الرجال عن غفلتهم وتركيزهم في أعمالهم[6].

---

[1] أحمد بن عبد الله بن عبد الرؤوف، رسالة في آداب الحسبة والمحتسب، ضمن ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب، تح. ليفي بروفنسال، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، 1955،ج.2، ص.87.

[2] ابن عبدون، رسالة في القضاء والحسبة، ضمن ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب، تح. ليفي بروفنسال، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، 1955م،ج.2، ص.55.

[3] أبي العباس الونشريسي، المصدر السابق، ج.6، ص.54.

[4] المصدر نفسه، ج.6، ص.275.

[5] العقباني التلمسانی، المصدر السابق، ص.67، **أنظر أيضا**: Attalah Dhina, Op.cit, p.350.

[6] أحمد ابن سعيد المجيلدي، المصدر السابق، الملحق رقم 6، ص.115.

ب- الحسبة على الحرف والصنائع الغذائية:

طبقت الحسبة على معظم الحرف والصناعات الغذائية، وذلك لما لها من أهمية في حياة المجتمع الزياني، ولعل أبرزها مادة الخبز التي كانت تتعرض لجملة من أعمال الغش، أهمها الإنقاص في وزنه[1] أو في طبخه، هذا فضلا عن رداءة الدقيق المستعمل في تحضيره، والذي عادة ما يكون مختلطا بالنخالة والحجارة مما يدل على عدم غربلته[2].

وللحد من مظاهر الغش في الطحين والخبز كان المحتسب يجبر الخبازين على أن يحلفوا بأن لا يخونوا أحدا في قمحه، ولا في دقيقه، ويلزمهم بغربلة الدقيق وترك الخبز يطيب من غير حيف على الجهتين[3]، كما كان يأمرهم أيضا بغسل المَعاجِن والحفاظ على نظافتها[4]. إلا أن المحتسب كان يقوم في بعض الأحيان بتأديب أصحاب الدكاكين، ويتغاضى عن أصحاب الأفران لأنهم كانوا يؤدون له الرًشاوي، ومن ثمة لا يستطيع تأديبهم حفاظا على مصالحه الخاصة[5]، وهذا ما يدل على مظهر من مظاهر فساد خطة الحسبة في حد ذاتها.

وعلى غرار الخبازين نجد أن الجزارين أيضا مارسوا بعض العادات السيئة، إذ كانوا يقومون بخلط اللحم مع شيء من الكرش، أو المصران أو الشحم، على قدر كثرة الثمن وقلته، وعلى حسب حال المشتري، فإذا خشي الجزار من بأس المشتري يضيف للحم شيء قليل من البطن، وقد لا يزيد له أي شيء، أما الفقير المستضعف فتضاف له مقادير كثيرة من الكرش، وتحسب في الوزن بثمن اللًحم[6]،

---

[1] كان الخبز معلوم الأوزان، فللربع من الدرهم رغيف على وزن معلوم، وكذلك للثمن، **أنظر**: المقري التلمساني، نفح الطيب، المصدر السابق، ج.1، ص.218.

[2] العقباني التلمساني، المصدر السابق، ص.116،118.

[3] موسى لقبال، الحسبة المذهبية في بلاد المغرب الإسلامي، نشأتها وتطورها، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1971، ط.1، ص.119.

[4] هاشم يحيى الملاح، المرجع السابق، ص.216.

[5] موسى لقبال، المرجع السابق، ص.55.

[6] المرجع نفسه، ص.54، **أنظر أيضا**: عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج.1، ص.229.



ويذكر لنا العقباني أن من غِش الجزارين نفخ اللحم بعد السلخ ليبدوا سمينا، فيؤدي هذا الفعل إلى تغير طعم اللحم[1]، لذلك لجأ المحتسب إلى عدة منافذ للحيلولة دون وقوع الغش في اللحم، من بينها وضع ورقة على اللحم بسعره، حيث لا يمكن للجزار أن يبيع بأكثر أو دون ما حدده له المحتسب في الورقة[2].

أما الغش في السوائل كالعصير والألبان فقد كان منتشرا أيضا، فحسب ما يذكره العقباني أن العصير كان يخلط بالماء، فيؤدي ذلك إلى فساده، والأمر نفسه بالنسبة للعسل واللبن، وقد أجاز الفقهاء خلط اللبن مع الماء لغرض استخراج الزبدة، أما خلطهما مع بعضهما البعض قصد الزيادة في كمية اللبن فهو غش محظور[3]، يضاف إلى ذلك الغش في السمن والزيت، حيث كان يخلط السمن الرديء بالسمن الجيد والزيت الرديء بالزيت الجيد، ثم يباع بنفس سعر النوع الجيد[4].

ج- الحسبة على حرف وصناعات أخرى:

من جملة الحرف التي عُرفت بالحسبة أيضا نجد باعة الجواهر(الصّاغة)، إذ كانت تباع في الأسواق الزيانية القلائد والجواهر المشتملة على شذور الذهب والفضة، بالإضافة إلى الركب واللجم وقوائم السيوف، التي كانت تُحلى وتُزين بأنواع الذهب والفضة وهو ما نهى عنه الفقهاء[5]، حيث كان المحتسب ينهى الصاغة عن بيع الحلي أو أواني الذهب والفضة إلا بغير جنسها ليحل فيها التفاضل، وإن باعها بجنسها فلا بد من التماثل والحلول والقبض قبل التفرق[6]، وفي سياق آخر ذي صلة بمعدني

[1] العقباني التلمساني، المصدر السابق، ص.115،116.

[2] المقري التلمساني، نفح الطيب، المصدر السابق، ج.1، ص.218.

[3] العقباني التلمساني، المصدر السابق، ص.108،109، **أنظر أيضا**: أبي العباس الونشريسي، المصدر السابق، ج.6، ص.278.

[4] العقباني التلمساني، المصدر نفسه، ص.107.

[5] المصدر نفسه، ص.139.

[6] عبد العزيز بن محمد بن مرشد، نظام الحسبة في الإسلام، دراسة مقارنة، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في القضاء، إشراف: عبد العال أحمد عطوه، المعهد العالي للقضاء، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 1393هـ/1972م، ص.124.

الذهب والفضة أفتى الفقهاء وأهل الحسبة، على حد سواء بعدم جواز التعامل بالدنانير والدراهم المغشوشة، التي غالبا ما كانت تخلط بالنحاس الأصفر بالنسبة للدينار الذهبي، والنحاس الأبيض بالنسبة للدرهم الفضي[1].

كما كان الحدادون يؤمرون بعدم طرق المسامير البالية وبيعها بثمن المسامير الجديدة، وأن لا يكون كل جنس من المسمار الجديد على وزن ما ينسب إليه، فمسمار رطلين تكون المائة منه بوزن رطلين وهكذا دواليك[2].

أما أصحاب الدكاكين والحوانيت فكانوا هم أيضا يُمنعون من رش الطريق المار أمام الحانوت، أو الدكان لأن لا تتزلق فيه الدواب وتنكسر، ويأمرون بكنس الطين إن كانوا قد جمعوه وكدسوه في وسط الطريق، وذلك نظرا لما له من ضرر على المارة[3]. ومما كان يعاقب عليه المحتسب أيضا تزييف العملة، وهي عادة من العادات المشينة التي أساءت إلى الحياة الإقتصادية في بلاد المغرب عامة، والدولة الزيانية بصفة خاصة[4].

يضاف إلى ما سبق ذكره الحسبة على الصباغين، القصارين، الطرازين، وغيرها من الحرف والصناعات الأخرى[5]. وعليه يمكننا القول أنه رغم شح المعلومات ذات الصلة بهذه الخطة في المصادر الزيانية، إلا أن خطة الحسبة كانت تطبق على معظم الصنائع والحرف في العصر الزياني، ويتجلى ذلك من خلال المادة الخبرية التي تضمنتها كتب الفقه والنوازل والحسبة، وفي هذا السياق يرى الأستاذ

---

[1] العقباني التلمساني، المصدر السابق، ص.126، **أنظر أيضا**: أبي العباس الونشريسي، المصدر السابق، ج.6، ص.129.

[2] أبو عبد الله محمد بن أبي محمد السقطي (ق.6هـ/12م)، في آداب الحسبة، تح. حسن الدين، مؤسسة دار الفكر الحديث للنشر، بيروت، لبنان، 1987م، ص.65، **أنظر أيضا**: أبي العباس الونشريسي، المصدر السابق، ج.6، ص.164،165.

[3] أحمد بن سعيد المجيلدي، المصدر السابق، ص.70.

[4] موسى لقبال، المرجع السابق، ص.55.

[5] أبو عبد الله محمد السقطي، المصدر السابق، ص.63.



الدكتور عبد العزيز فيلالي أن جل هذه الكتب لا تحدد مظاهر الحسبة بالزمان والمكان إلا في بعض الحالات النادرة، مما يجعلها صالحة وجائزة للتوظيف، إذ أن معظم الظواهر السلبية التي كان يتصدى لها المحتسب متشابهة في كل الأقطار المغاربية[1].

[1] عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج.1، ص.228.





الفصل الثالث: أنواع الصناعات الزيانية

1- الصناعات النسيجية:

يعتبر النسيج من أبرز ضروريات الحياة، فمن خلاله إهتدى الإنسان إلى نسج لباسه وفراشه وكل ما من شأنه أن يقيه من برد الشتاء وحر الصيف، وعليه فالنسيج هو ضم الشيء إلى الشيء، ومن ذلك ضم السدي إلى اللحمة[1]، إسداءا في الطول وإلحاما في العرض وإحكاما لذلك النسج بالإلتحام الشديد، فيتم منها قطع مقدرة: فمنها الأكسية من الصوف للإشتمال، ومنها الثياب من القطن والكتان للباس[2].

والدولة الزيانية كغيرها من دول العالم الإسلامي[3]،عرفت إزدهار الصناعة النسيجية نتيجة لوفرة المواد الأولية الخام التي تحتاجها هذه الصناعة مثل الصوف[4]، والقطن والكتان[5] والحرير[6]. ومن بين الصناعات النسيجية التي إنتشرت بكثرة في العصر الزياني نذكر:

[1] ابن منظور، لسان العرب، تح. هاشم محمد الشاذلي وآخرون، دار المعارف للنشر، مصر، القاهرة، د.ت، ط.1، ص.4406، **أنظر أيضا**: الفيروزابادي، المصدر السابق، ص.207.

[2] ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص.448.

[3] مختار حساني، الحواضر والأمصار الإسلامية الجزائرية، دار الهدى للنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، 2011م، ج.4، ص.22.

[4] خالد بلعربي، الدولة الزيانية..، المرجع السابق، ص.237.

[5] سكينة عميور، المرجع السابق، ص.168.

[6] إرتبط إنتاج الحرير بزراعة أشجار التوت، والتي تتغذى على أوراقها دودة القز المنتجة لمادة الحرير، المستعملة في نسج الألبسة الحريرية. **أنظر**: أبي العباس الونشريسي، المصدر السابق، ج.6، ص.73.



أ- صناعة الألبسة والأغطية:

كانت أغلب الألبسة والأغطية تنسج من الصوف، بعد أن يتم غسلها وتنقيتها من الشوك وغيره بواسطة آلة تدعى المنذلة، ثم تبخر بالكبريت على آلة تسمى المسخنة كي يتّضح بياضها، وبعد ذلك تقردش بالقرداش[1]، ومن ثمة تغزل بآلة تعرف بالمغزل[2]، بعدها يقوم الصبّاغون بصبغ الصوف وتجهيزها للنسج، حيث يقوم الحاكة أو الدرازين[3] بإلحام الغزل حتى يصير ثوبا واحدا[4]، ومن الألبسة التي كانت تصنع نجد الكساء والبرنوس على اختلاف أنواعه، حيث كانت تنسج البرانس للرجال والبرينسات للأطفال الصغار[5].

ونظرا لإتقان وجودة صناعتهما، فقد أثنى في وصفهما يحيى ابن خلدون بقوله: "غالب تكسبهم- أهل تلمسان- الفلاحة وحوك الصوف يتغايون في عمل أثوابه الرقاق، فتلقى الكساء والبرنوس عندهم من ثمانية أواق، والإحرام من خمس، وبذلك عرفوا في القديم والحديث، ومن لدنهم يجلب إلى الأمصار شرقا وغربا"[6]، كما نوّه الزهري أيضا بمكانة عاصمة الدولة تلمسان في نسج هذه الألبسة الصوفية بقوله: "وهي دار مملكة يعمل فيها من الصوف كل شيء بديع، من المحررات والأبدان وأحاريم الصوف والسفاسير...،وقد تجد فيها كساء كامل وزنه تسع أواق ونحوها"[7].

---

[1] **القرداش**: هو آلة من اللوح مركبة من جزئين، وكل جزء له مشط ذو أسنان وله مقبض من الخشب يمسك منه، ويضغط به على الصوف لدك اللحمة، **أنظر**: جمعية الأصالة لرعاية الفنون التراثية، موسوعة الحرف التقليدية بمدينة القاهرة التاريخية، دار الكتب العربية للنشر، مصر، القاهرة، ط.1، ج.2، 2005، ص.125.

[2] **المغزل**: هو عبارة عن جزء أسطواني من الخشب أعلاه جزء خشبي أو حجري، يتراوح طوله ما بين 25 إلى 30 سم، بأعلاه سنارة (خطاف) لحبس الخيط أثناء البرم أو الغزل، **أنظر**: جمعية الأصالة لرعاية الفنون التراثية، المرجع نفسه، ص.142.

[3] محمد بن رمضان شاوش، المرجع السابق، ج.2، ص.12.

[4] ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص.488.

[5] عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج.1، ص.222.

[6] يحيى ابن خلدون، المصدر السابق، ص.22.

[7] محمد بن أبي بكر الزهري، المصدر السابق، ص.113.



إضافة إلى الكساء والبرانس كانت تصنع أيضا الأقمصة والمعاطف بنوعيها، الصغيرة والكبيرة، وكانت ميزتها أنها متقنة الصنع ذات نوعية رفيعة جدا، حتى أنه يوجد منها ما لا يزن حتى عشر أواق، فكان بذلك لباس التلمسانيين أكثر أناقة مما هو عليه الحال بفاس[1]، الأمر الذي يفسر لنا إقبال ملوك إفريقية والمغرب على اقتناء ما كان يعمل بتلمسان من رفيع الصوف[2]،حيث كان لبس سلطان مملكة تونس وأكابر مشايخه من قماش يسمى السّفساري، يعمل عندهم من حرير وقطن، أو حرير وصوف رفيع جدا، وقماش يعرف بالتلمساني يعمل بتلمسان، إما من صوف خالص أو حرير خالص، مختم وغير مختم[3].

كما عُرِف العصر الزياني أيضا بصناعة ثياب الخز، وهو كل ما إمتزج من حرير وغيره، وقد لقيت هذه الصناعة عناية السلاطين بها، إذ كان السلطان أبي الحسن يأمر صناع هذه الثياب بأن يكون السدي من الصوف أكثر[4]، ومن أنواع الألبسة كذلك لباس التشامير الذي كان يرتديه في غالب الأحيان الأولياء والمتصوفة، إلى جانب كساء مع برنس وعمامة كتان خشنة، ومن هؤلاء الأولياء الشيخ أحمد الغماري (ت.870هـ/1470م)[5].

---

[1] مارمول كربخال، المصدر السابق، ج.2، ص.300.

[2] ابن مرزوق التلمساني، المناقب المرزوقية، المصدر السابق، ص.189.

[3] أبي العباس القلقشندي، المصدر السابق، ج.5، ص.142، **أنظر أيضا**: روبار برنشفيك، المرجع السابق، ج.2، ص.25.

[4] ابن مرزوق التلمساني، المسند، المصدر السابق، ص.130.

[5] ابن صعد الأنصاري، المصدر السابق، ص.199.



وتجدر الإشارة إلى أن النساء لَعِبْن أيضا دورا فعالا في تطوير الصناعة النسيجية، حيث كانت النِسوة بتلمسان يتخذن من الصوف أنواعا من الكنابيش لا توجد في غيرها[1]، إضافة إلى القفاز والجوارب التي تلبس في فصل الشتاء، ومنهن من كانت تخيط الثياب من القطيفة، وحتى من الجلد ثم تطرزها بأسلاك الذهب والفضة[2].

إلا أن هذه الحرفة إحتكرتها المرأة الغنية الميسورة الحال[3]، وإلى جانب النساء نجد أن الرجال أيضا كانوا يحترفون صناعة الحياكة، وخير دليل على ذلك الشيخ سيدي أحمد بن زكري التلمساني، الذي كان يشتغل بهذه الصناعة في الطراز مقابل أجرة قدرها نصف دينار في كل شهر[4].

أما الأغطية فقد كانت تنسج من الصوف المصبوغة بالألوان المختلفة، ونجد منها نوع خاص يسمى البطانية[5]،إضافة إلى نوعية أخرى من الأغطية الجيدة المعروفة باسم بوربحان[6]، وقد إنتشرت كذلك صناعة الحياك في العديد من المدن الزيانية أهمها: قلعة بني راشد، تلمسان والمدية، وقد كانت حياك الدولة الزيانية تباع لتجار الدول الأوروبية والإسلامية[7].

---

[1] شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي (ت. 626هـ/1228م)، معجم البلدان، دار صادر للنشر، بيروت، لبنان، 1397هـ/1977م، ج.5، ص.44.

[2] محمد بن رمضان شاوش، المرجع السابق، ج.2، ص.14.

[3] عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج.1، ص.223.

[4] أبي عبد الله محمد بن محمد بن أحمد الملقب بإبن مريم (كان حيا سنة 1014هـ/1605م)، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، مراجعة: محمد بن أبي شنب، المطبعة الثعالبية للنشر، الجزائر، 1326هـ/ 1908م، ص.38،39، **أنظر أيضا**: محمد بن عسكر الحسني الشفشاوني (ت.986هـ/ 1578م)، دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر، تح. محمد حجي، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، المملكة المغربية، 1397هـ/ 1977م، ط.2، ص.119.

[5] **البطانية**: هي عبارة عن قطعة نسيجية من الصوف الغليظ، تتراوح أطوالها بين متر ونصف ومترين، ونصف عرض× مترين ونصف طول، وسديها ولحمتها تكون من الصوف ذو الألوان الطبيعية، **أنظر**: جمعية الأصالة لرعاية الفنون التراثية، المرجع السابق،ج.2، ص.138.

[6] محمد بن رمضان شاوش، المرجع السابق، ج.2، ص.14.

[7] مختار حساني، تاريخ الدولة الزيانية، المرجع السابق، ج.2، ص.92.



ب- صناعة الزرابي والأفرشة:

من أهم ما كان يصنع في الدولة الزيانية إلى جانب الأكسية والأقمشة، الزرابي والحياك أو ما يعرف بالحنابل[1]، والتي كانت صناعتها موجودة بتلمسان قبل العصر الزياني، حيث وجدت بها أنواعا مختلفة من الحنابل المكلكلة[2]، وبقيام الدولة العبد الوادية إزدهرت صناعة هذا النوع من الزرابي الفاخرة[3]، والمزدانة بمختلف الألوان الزاهية كالأحمر والأخضر والأزرق والأبيض في عديد المدن الزيانية، خاصة بمدينة وهران[4] التي كانت تصدر منها الحنابل إلى المغرب الأقصى والبرتغال وإيطاليا[5].

ونجد إلى جانب الحنابل أيضا عدة أنواع من الزرابي الرفيعة، التي كانت من اختصاص النساء خاصة الفتيات منهن، وقد كانت هذه الزرابي تنسج إما من الصوف ذات الألوان الطبيعية، أو من الصوف المصبوغ بالألوان المختلفة التي تتميز بثباتها، أي أنها لا تحول ولا تتغير حتى لو بقيت لسنين عديدة[6]، وتعتبر قلعة بني راشد من أبرز المناطق التي اختصت بصناعة هذا النوع من الزرابي في عهد السلطان يغمراسن بن زيان (633-681هـ/1236-1282م)[7]، إلا أن هذه الزرابي كانت في غالب الأحيان خاصة بالعائلات الغنية والميسورة الحال، وهو ما أوجد صناعة السجاد والحصير الذي كان يستعمل في مكان الزرابي بالنسبة للعائلات الفقيرة، كما كان يفرش أيضا للصلاة عليه، وقد عرفت هذه الصناعة هي الأخرى قبل العصر الزياني، حيث كان يمارسها الزهاد والأولياء أمثال أبو

---

[1] **الحنابل**: مفردها حنبل، وهي عبارة عن زرابي طويلة خالية من النقوش، **أنظر**: بسام كامل عبد الرزاق شقدان، المرجع السابق، ص.187.

[2] أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الزهري (ق.6هـ/12م)، كتاب الجغرافيا، تح. محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية للنشر، مصر، القاهرة، د.ت، ص.113.

[3] مارمول كربخال، المصدر السابق، ج.2، ص.300.

[4] مختار حساني، تاريخ الدولة الزيانية، المرجع السابق، ج.2، ص.178.

[5] لطيفة بشاري، المرجع السابق، ص.137.

[6] محمد بن رمضان شاوش، المرجع السابق، ج.2، ص.14.

[7] خال بلعربي، الدولة الزيانية..، المرجع السابق، ص.238.



إسحاق إبراهيم بن يسول الإشبيلي، الذي كان يحتطب العزف من جبال تلمسان ويصنع منه حصر الصلاة، ثم يبيعها ويشتري بثمنها شعيرا يقتاته[1].

وفي سياق الحديث عن الصناعة النسيجية تجدر الإشارة إلى أن هذه الصناعة قد عرفت إزدهارا كبيرا خلال العصر الزياني، نتيجة لهجرة الأندلسيين إلى تلمسان[2] وباقي المناطق الأخرى، واشتغالهم في غزل الصوف ونسج الحرير وطرزه، إضافة إلى حياكة القطن والكتان[3] في عدة ورشات ومصانع، معدة خصيصا للخياطة وطرز الملابس الجلدية والقطنية والحريرية[4]، فظهرت بذلك عدة مدن متخصصة في النسيج أهمها عاصمة الدولة تلمسان، وشرشال التي اختصت في نسج الحرير[5]، وندرومة وهنين في نسج القطن[6]، أما حياكة الصوف والكتان فقد إزدهرت في كل من وهران، مستغانم، مليانة ومازونة[7]، إضافة إلى سهل متيجة ومدينة الجزائر وغيرها من المدن الأخرى[8].

---

[1] ابن الزيات التادلي، المصدر السابق، ص.294، **أنظر أيضا**: قاسمي بختاوي، التعليم بالكتاب في المغرب الأوسط أيام حكم بني عبد الواد 633- 962هـ/ 1235- 1554م، دورية كان التاريخية، العدد.12، يونيو2011، ص.31.

[2] الجيلالي شقرون، تلمسان مركز إشعاع حضاري في المغرب الأوسط، مجلة الفقه والقانون، جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس، د.ع و د.ت، ص.6.

[3] خالد بلعربي، الدولة الزيانية، المرجع السابق، ص.238.

[4] جمال يحياوي، المرجع السابق، ص.93.

[5] الحسن الوزان، المصدر السابق، ج.2، ص.34.

[6] المصدر نفسه، ص.14،15، **أنظر أيضا**: مارمول كربخال، المصدر السابق، ج.2، ص.295،296.

[7] الحسن الوزان، المصدر نفسه، ص.30-36.

[8] محمد الأمين بلغيث، الأندلسيون وآثارهم بفحص الجزائر ومتيجة، ضمن دراسات وبحوث مغاربية مهداة للدكتور موسى لقبال، إعداد وتنسيق: إسماعيل سامعي وعلاوة عمارة، إشراف: بوبة مجاني، دار بهاء الدين للنشر، قسنطينة، الجزائر، 2008، ط.1، ص.163.

2- الصناعات الجلدية:

أ- صناعة الألبسة والأحذية:

إهتم الزيانيون بتربية المواشي كالإبل والأغنام والأبقار، التي استفادوا من جلودها[1] في توفير ما يحتاجون إليه من متطلبات الحياة، فكانت بذلك صناعة الجلود[2] من أهم الصناعات التي لقيت رواجا كبيرا في محيط الدولة الزيانية، بضمها لثلاث طوائف تمثلت في الدباغين، وهم الذين كانوا يعدون الجلود للدبغ من حيث إزالة الشعر من الجلد وإعداد السحيق اللازم للدباغة[3]، ونشرها بعد ذلك على الطرقات لكي تجف من دمها[4]، بالإضافة إلى الخرازين والسراجين[5]، الذين سآتي على ذكرهم لاحقا.

أما المصنوعات الجلدية فقد تمثلت في صناعة الأحذية مثل البشماق الخاص بالنساء، والسندالة والطبول والدفوف[6]، هذا فضلا عما كان ينتجه الخرازين من أنوع أخرى للأحذية تدعى البلاغي (البلغة)، منها ما كان ينتعله الرجال، ومنها ما تنتعله النساء، وهي على ثلاثة أنواع: المسرحة لأهل البادية، والمشربلة للحضر، والريحية وهي خاصة بالنساء، وكانت هذه الأحذية مطرزة بأسلاك الذهب أو الفضة أو الحرير، وتنتعل غالبا في الولائم[7].

ومما ساهم في تطور هذه الصناعة، ذلك الدور الفعال الذي لعبته الجالية الأندلسية في رقي وازدهار صناعة الملابس، والأحذية الجلدية وتطريزها[8]، فإنتعشت بذلك تجارتها في الأسواق التابعة للدولة الزيانية، حيث كان التجار يشترونها من الورشات الخاصة بصناعتها، ثم يوزعونها على التجار الصغار

---

1 بسام كامل عبد الرزاق شقدان، المرجع السابق، ص.184.

2 عزي بوخالفة، تلمسان منارة إشعاع فكري وحضاري، دار السبيل للنشر والتوزيع، الجزائر،2011، ص.430.

3 مختار حساني، المرجع السابق، تاريخ الدولة الزيانية، ج.2، ص.93.

4 العقباني التلمساني، المصدر السابق، ص.67.

5 محمد بن رمضان شاوش، المرجع السابق، ج.2، ص.8.

6 خالد بلعربي، الدولة الزيانية، المرجع السابق، ص.238.

7 محمد بن رمضان شاوش، المرجع السابق، ج.2، ص.12.

8 جمال يحياوي، المرجع السابق، ص.93.



بالمدن والأرياف[1]، أو يصدرونها إلى بلاد السودان الغربي خاصة طمبكتو، ومنها البلغة والخفاف والسندالة[2].

ب- صناعة السروج والألجمة:

إحتلت الخيول مكانة هامة في حياة المجتمع الزياني بشقيه الريفي والحضري، فكانت رمزا للفخر والإعتزاز، لكونها أصيلة في هذه البلاد منذ القدم[3]، ونتيجة لهذه المكانة إزدهرت صناعة السروج والألجمة[4]، التي تعتبر من بين الصناعات الجلدية التي إرتبطت ممارستها بطائفة السرّاجين، وهي طائفة اختصت بصناعة السروج التي تجعل على ظهور الخيل حين يركبها الفرسان[5].

إلا أن هذه الصناعة وجدت قبل العصر الزياني بمدينة تلمسان، التي كانت تجلب منها سروج الخيل إلى بلاد المغرب وبلاد الأندلس[6]، ثم تطورت أكثر بقيام الدولة الزيانية حيث كانت تعمل بعاصمتها طقوم فاخرة للخيل مع ركابات جميلة ولجم ومهاميز، وأجود ما يصنع من رؤوس اللُّجم في إفريقيا[7]، إضافة إلى عدة مدن أخرى منها مدينة مليانة؛ التي كان سكانها يصنعون الجوخ والسروج على طريقة المغاربة[8]، وقلعة بني راشد التي كانت تباع بها السروج المضربة ذات المهامز والأعنة، والألجمة وسائر حاجيات الخيل[9].

---

[1] مختار حساني، تاريخ الدولة الزيانية، المرجع السابق، ج.2، ص.93.

[2] خالد بلعربي، الدولة الزيانية، المرجع السابق، ص.239.

[3] سكينة عميور، المرجع السابق، ص.157.

[4] جمع لجام وهو ما تلجم به الخيل ويسمى بائعها اللَّجَام، بفتح اللام والجيم مشددتين مع مد الجيم، **أنظر**: محمد عمارة، المرجع السابق، ص.494.

[5] محمد بن رمضان شاوش، المرجع السابق، ج.2، ص.12.

[6] محمد بن أبي بكر الزهري، المصدر السابق، ص.113،114.

[7] مارمول كربخال، المصدر السابق، ج.2، ص.300، **أنظر أيضا**: Attalah Dhina, Op.cit, p.348.

[8] المصدر نفسه، ص.360.

[9] نفسه، ص.324، **أنظر أيضا**: الحسن الوزان، المصدر السابق، ج.2، ص.27.



وقد كانت صناعة السروج تتم أيضا داخل قصر المشور، ثم تعرض للبيع في سوق السراجين[1]، أو في أسواق أخرى مثل سوق منشار الجلد، وسوق سوق سيدي أبي جمعة[2]، وكثيرا ما كانت هذه السروج تطرز بأسلاك الذهب والفضة[3]، ومن ثمة تصدر إلى خارج الدولة الزيانية بأثمان عالية.

3- الصناعات الغذائية:

يعتبر الغذاء من ضروريات الحياة اليومية لذلك سعى الإنسان جاهدا لتحقيق إكتفائه الغذائي، وبالتالي ضمان بقائه، فاهتدى بذلك إلى جملة من الصناعات الغذائية أبرزها:

أ- صناعة الخبز:

كانت صناعة الخبز تقوم على طحن القمح والشعير بإستعمال الأرحية (الأرحاء)[4]، التي كانت منتشرة بكثرة في مدن الدولة الزيانية، حيث وجدت أرحية عديدة لطحن القمح على نهر سطفسيف[5] وأرحية أخرى كانت بالقرب من تلمسان على منحدرات رأس القلعة إلى جهة الجنوب[6]، هذا فضلا

---

[1] مختار حساني، تاريخ الدولة الزيانية، المرجع السابق، ج.2، ص.48.

[2] ابن مريم، المصدر السابق، ص.270، **أنظر أيضا**: ابن مرزوق، المسند، المصدر السابق، ص.417.

[3] محمد بن رمضان شاوش، المرجع السابق، ج.2، ص.12.

[4] كانت هذه الأرحية تبنى بالحجر، وتعتمد على الطاقة الحركية للماء وهو ما يفسر وجودها على ضفاف الأنهار، وذلك لأن خروج الماء بقوة تدفق عالية يُمكِن من إدارة عجلات الأرحية، كما كانت هناك أنواع من الأرحية تحركها الدواب ببطء كبير، **أنظر**: أبوعبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر المقدسي (ت. 380هـ/990م)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مطبعة بريل، مدينة ليدن، 1877م، ط.2، ص.125، مختار حساني، المرجع السابق، ج.2، ص.95، روبار برنشفيك، المرجع السابق، ج.2، ص.215.

[5] هو نهر كبير يبعد عن شرق مدينة تلمسان بحوالي ثلاثة أميال، ينبع من جبل يسمى جبل الفضل، ويصب في بركة عظيمة من عمل الأول، يسمع لوقوعه فيها خرير شديد هائل على مسافة، ثم ينبثق من تلك البركة إلى موضع يسمى المهراز، فيسقي هناك مزارع وأولاجا كثيرة تسمى أولاج الجنان، ثم يصب في نهر تافنة المتصل بمدينة أرشقول، **أنظر**: أبو عبيد الله البكري، المصدر السابق، ص.77، عبد المنعم الحميري، المصدر السابق، ص.135، الحسن الوزان، المصدر السابق، ج.2، ص.20.

[6] الحسن الوزان، المصدر نفسه، ص.20.



على الأرحية التي كانت منتشرة بمدن وهران[1]، مستغانم[2]، مليانة[3]، هنين[4]، ومتيجة[5]، حيث كان أصحاب هذه الطاحونات أو الأرحية يشترون القمح والشعير ويطحنونه، ثم يُنخِّلونه بالغربال لإستخراج الدقيق منه[6]، هذا الأخير كان يباع للخبازين العاملين في أفران الخبز بأنواعه المختلفة[7]، فيعجنون منه الخبز الذي يعتبر أهم مادة في غذاء المجتمع الزياني[8].

وبعد ذلك يضعونه في الأفران لكي ينضج، وقد كان الخباز يضع في الفرن مواد معينة ويحرقها على الخبز، وهو ما يؤكده الونشريسي بقوله:" أن فران ابتاع من بدوي قصب الفول ليحرقه على الخبز، والقصب باق في الفدان على أصوله..."[9]، وبعد نضج الخبز يقوم الخباز بعرضه للبيع على الرصيف المار أمام دكانه أو حانوته[10]، سواء كان ذلك خارج السوق أو بداخله[11]، وتجدر الإشارة إلى أن بعض العائلات كانت تفضل أن يكون الخبز طازجا في كل وجبة، حيث كانت المرأة تتولى مهمة العجن وتحضير الخبز[12] بنفسها داخل البيت، سواء كان من دقيق القمح أو الشعير، ثم تقوم بطهيه

---

[1] عبد المنعم الحميري، المصدر السابق، ص.612، **أنظر أيضا**: مؤلف مجهول، الإستبصار، المصدر السابق، ص.134.

[2] الحسن الوزان، المصدر السابق، ج.2، ص.32، **أنظر أيضا**: مختار حساني، تاريخ الدولة الزيانية، المرجع السابق، ج.2، ص.95.

[3] ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج.5، ص.196.

[4] الحسن الوزان، المصدر السابق، ج.2، ص.16.

[5] عبد المنعم الحميري، المصدر السابق، ص.523.

[6] محمد بن رمضان شاوش، المرجع السابق، ج.2، ص.07.

[7] محمد عمارة، المرجع السابق، ص.424.

[8] ابن الزيات التادلي، المصدر السابق، ص.302، **أنظر أيضا**: ابن مرزوق، المناقب المرزوقية، المصدر السابق، ص.299، العقباني التلمساني، المصدر السابق، ص.118.

[9] أبي العباس الونشريسي، المصدر السابق، ج.5، ص.37.

[10] ابن قنفد القسنطيني، أنس الفقير وعز الحقير، المصدر السابق، ص.104.

[11] العقباني التلمساني، المصدر السابق، ص.218.

[12] جودت عبد الكريم يوسف، المرجع السابق، ص.109.

على الطاجين[1]، وبعدها يؤكل بزيت الزيتون أو القديد (الخلِيعْ)[2]، وذلك لأن صناعته تعرضت للغش من طرف الخبازين والفرانين في كثير من الأحيان، لا سيما خلال فترات المجاعات والحروب وغلاء الأسعار[3]، وهو ما يدل على أهمية الخبز كغذاء للمجتمع الزياني.

إضافة إلى الخبز نجد أن من الأطعمة التي ارتبطت صناعتها بطحين القمح والشعير الكسكس؛ وهو أكلة يتم تحضيرها باستعمال السيّار والدقيق والماء، ثم تعمل على شكل حبيبات صغيرة[4]. ورغم شهرة هذه الأكلة إلا أن الإشارات إليها في المصادر شحيحة جدا، ومنها ما يذكره المقري عندما تحدث عن الشيخ أبا القاسم ابن محمد اليمني مدرس دمشق ومفتيها، وقال في إطار الحديث الذي دار بينه وبين هذا المفتي عن طعام الكسكسي:" إن هذا الطعام مما يعتاده المغاربة ويشتهونه، على كثرة إستعمالهم له، فلربما نبه منه شهوة أو رده إلى عادة "[5].

ب- عصر الزيتون:

تعد شجرة الزيتون شجرة مباركة أقسم بها الله سبحانه وتعالى في قوله:" **وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ**"[6]، كما ورد ذكرها أيضا في موضع آخر إذ يقول جل وعلا في محكم تنزيله:" **اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ**

---

[1] أبو القاسم بن أحمد البلوي التونسي المعروف بالبرزلي (ت.841هـ/1438م)، جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام، تقديم وتح. محمد الحبيب الهيلة ، دار الغرب الإسلامي للنشر، بيروت، لبنان، 2002، ط.1، ج.3، ص.275، **أنظر أيضا**: مارمول كربخال، ج.2، ص.376، الآغا بن عودة المزاري، المصدر السابق، ص.164.

[2] أبي العباس الونشريسي، المصدر السابق، ج.4، ص.129، **أنظر أيضا**: عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج.1، ص.122.

[3] عن مظاهر الغش في صناعة الخبز أنظر العنصر الخاص بالحسبة على الصناعات الغذائية، ضمن الفصل الثاني من هذه المذكرة، ص. 64، 65.

[4] سكينة عميور، المرجع السابق، ص.260.

[5] المقري التلمساني، نفح الطيب، ج.5، ص.258.

[6] سورة التين، الآية (01).



نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ"[1].

ونظرا لهذه الأهمية أولى الزيانيون عنايتهم بزراعة أشجار الزيتون في مختلف أرجاء البلاد، خاصة المناطق الغربية والوسطى من الوطن[2]، وذلك فضلا عن نواحي العاصمة تلمسان التي إنتشرت بضواحيها حدائق كثيرة من أشجار الزيتون، تستخرج منها كميات معتبرة من الزيت[3]، وقد أشارت النوازل الفقهية[4] إلى وفرة الزيتون في بلاد المغرب الأوسط، حيث تطرقت إلى طرق بيعه وزكاته[5]، وخزنه في المخازن والمطامر حتى يهترئ ويظهر زيته[6]، ثم عصره بعد ذلك في المعاصر(معصرة)[7]، التي كان بعضها حكرا على أصحابها، إلا أن هذا لا ينفي وجود معاصر عامة[8]، هذه الأخيرة كانت تشبه المطاحن من حيث طريقة عملها، لأنها كانت تدور بالماء أو الدواب أو بطرق أخرى، حيث أن نوعية الزيت تدل على كيفية إستخراجه؛ ومن أنواع الزيت نجد زيت الماء وهو أفضل أنواع الزيوت،

---

[1] سورة النور، الآية (35).

[2] مختار حساني، تاريخ الدولة الزيانية، المرجع السابق، ج.2، ص.94.

[3] يحيى ابن خلدون، المصدر السابق، ج.1، ص.10، **أنظر أيضا**: مارمول كربخال، المصدر السابق، ج.2، ص.299.

[4] لغة هي النازلة الشديدة التي تنزل بالقوم. وجمعها النوازل، أما إصطلاحا فتعني مجموع الأحكام الصادرة عن الفقهاء في الوقائع الجزئية المتعلقة بمشكلة عقائدية أو أخلاقية أو ذوقية، يصطدم بها المسلم في حياته اليومية فيحاول أن يجد لها حلا يتلاءم وقيم المجتمع، بناءا على قواعد شرعية. ومن اصطلاحاتها أيضا الفتاوى، الأجوبة، المسائل، الأحكام...إلخ، **أنظر**: أحمد السعيدي، النوازل الفقهية والعلوم الإنسانية، علم التاريخ مثالا، دورية كان التاريخية، العدد.6، ديسمبر2009، ص.17.

[5] أبو القاسم البرزلي، المصدر السابق، ج.1، ص.575.

[6] أبي العباس الونشريسي، المصدر السابق، ج.1، ص.18.

[7] المصدر نفسه، ج.5، ص.256.

[8] جودت عبد الكريم يوسف، المرجع السابق، ص.111.



وزيت اليد وهو متوسط، وهناك الزيت المغلّى وهو أدنى هذه الأنواع[1]، ونتيجة لذلك كان بائعي الزيوت يخلطون الزيت الجيد بالزيت الرديء ثم يبيعونه برسم النوع الجيد[2].

وفيما يخص الطرق والتقنيات التي كانت مستخدمة في استخراج الزيت خلال فترة العصر الوسيط، فإن المعلومات حولها في المصادر التاريخية والجغرافية تبقى جد شحيحة، ولا تعدوا أن تكون مجرد إشارات. منها ما يذكره الحميري في سياق حديثه عن بجاية فيقول:" ويجلب إليها من أقاليمها الزيت الطيب"[3]، إضافة إلى ما يورده الوزان عن سوق الخميس بالمُعَسكَر الذي كانت تباع فيه كميات وافرة من الزيت[4]، وهذا يدل دون شك على وجود طرق معينة، كان يتم من خلالها استخلاص زيت الزيتون[5].

أما استعمالاته فقد كانت عديدة؛ منها تحضير الطعام أو أنه يؤكل بالخبز، فضلا على إستعماله أيضا للإضاءة والعلاج، لذلك سعى الزيانيين إلى ضمان وفرته على مدار السنة، حيث كانوا يحفظونه في قلال أو زقاق من جلود الأغنام[6]. وعلى العموم يمكن القول أن زيت الزيتون كان يمثل مادة غذائية هامة للمجتمع الزياني.

---

[1] جودت عبد الكريم يوسف، المرجع نفسه، ص. 112.

[2] العقباني التلمساني، المصدر السابق، ص.107.

[3] عبد المنعم الحميري، المصدر السابق، ص.81.

[4] الحسن الوزان، المصدر السابق، ج.2، ص.26.

[5] من بين هذه الطرق نذكر طريقتان، الأولى كانت الحبوب فيها تهرس بإستخدام عجلة يديرها حيوان ثم يمر الزيتون المهروس إلى المعصرة لكي يصفى منه الزيت، أما الطريقة الثانية فتقوم على غلي الزيتون ثم عجنه، وتركه في أحواض حتى يطفو عليها الزيت، إلا أن مردود هذه الأخيرة يعد قليلا بالمقارنة مع الطريقة الأولى، **أنظر**: جودت عبد الكريم يوسف، المرجع السابق، ص.47.

[6] المرجع نفسه، ص.46،47.



ج- الجزار:

كانت تربية المواشي والأغنام واسعة الإنتشار في الإمارة الزيانية[1]، خاصة بمدن ندرومة[2]، البطحاء، وإقليم بني راشد[3]، وأمام هذه الوفرة في المواشي باتت اللحوم تشكل مادة أساسية في مأكولاتهم، حيث يؤكد كربخال أن أهل ندرومة كانوا يصنعون من الخروب عسلا يأكلونه طوال السنة مع اللحوم[4]، أما في حالة استقبالهم للضيوف أو في المناسبات، فقد كانوا يقومون بشواء اللحم على الجمر إكراما لضيوفهم[5].

وإن كانت هذه الصناعة الحرفية تقوم على الذبح والسلخ، والتنظيف والتقطيع، ثم البيع[6] في الدكاكين والأسواق[7]، فإن النوازل الفقهية قد حددت لنا بموجب ذلك بعض الضوابط المتعلقة بهذه المهنة، منها الذبح على الطريقة الإسلامية، اضافة إلى الإفتاء بعدم جواز شراء لحم الماشية المغصوبة[8]، وإلى ما غير ذلك من الفتاوى والنصائح التي كانت تهدف بالأساس إلى الحفاظ على صحة وسلامة أفراد المجتمع من الآفات والأمراض على اختلافها.

---

[1] لطيفة بشاري، المرجع السابق، ص.135.

[2] مارمول كربخال، المصدر السابق، ج.2، ص.295.

[3] الحسن الوزان، المصدر السابق، ج.2، ص.26،27.

[4] مارمول كربخال، المصدر السابق، ج.2، ص.295،376.

[5] شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري (ت.732هـ/1332م)، نهاية الأرب في فنون الأدب، تح. عبد المجيد ترحيني، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1425هـ/ 2004م، ط.1، ج.24، ص.84،85، **أنظر أيضا**: ابن صعد الأنصاري، المصدر السابق، ص.201.

[6] محمد عمارة، المرجع السابق، ص.148.

[7] ابن الزيات التادلي، المرجع السابق، ص.113.

[8] أبو القاسم البرزلي، المصدر السابق، ج.3، ص.170، 171.



4- الصناعات المعدنية:

تعتبر الصناعة المعدنية من بين الصناعات التي نالت إهتماما خاصا من قبل السلطة الزيانية، وذلك نظرا لإرتباطها بالحياة المدنية من جهة، والحياة العسكرية من جهة أخرى، ويعود السبب في تطورها إلى وفرة المواد الأولية في محيط الدولة، وقربها من مناجم المعادن المختلفة[1]، فظهرت بذلك مجموعة من الصناعات المعدنية نذكر منها:

أ- الصناعة الحديدية:

إزدهرت هذه الصناعة في الدولة الزيانية نتيجة لوفرة معادن الحديد بها خاصة في مدينة بجاية[2]، وهنين[3]، وتفسرة التي يصفها الحسن الوزان بقوله:" فيها حدادون كثيرون، لأنه توجد بقربها عدة مناجم للحديد...وأهلها لا يشتغلون بغير خدمة الحديد ونقله إلى تلمسان"[4]، ثم بيعه في سوق الحدادين للصناع الذين كانوا يتخذون منه الآلات المختلفة[5]، كما وجدت أيضا معادن للحديد بالموضع المسمى تِمْسَامَانْ قرب مدينة وهران[6].

---

[1] فؤاد طوهارة، المنهج الفائق والمنهل الرائق والمعنى اللائق بآداب الموثق وأحكام الوثائق، لأبي العباس أحمد بن يحيى بن محمد بن عبد الواحد بن علي الونشريسي (ت.914هـ/ 1508م)، دراسة وتحقيق (أربعة أبواب من الكتاب)، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الوسيط، إشراف: عبد العزيز فيلالي، جامعة منتوري قسنطينة، السنة الجامعية، 1431- 1432هـ/ 2010- 2011م، ص.69.

[2] عبد المنعم الحميري، المصدر السابق، ص.81.

[3] مارمول كربخال، المصدر السابق، ج.2، ص.297.

[4] الحسن الوزان، المصدر السابق، ج.2، ص.24، **أنظر أيضا**: مارمول كربخال، المصدر السابق، ج.2، ص.323.

[5] أبي العباس الونشريسي، المصدر السابق، ج.6، ص.164،165.

[6] محي الدين عبد الواحد المراكشي (ت.7هـ/13م)، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تح. محمد سعيد العريان، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، مصر، القاهرة، 1383هـ/ 1963م، ج.3، ص.447.



وقد تمثلت المصنوعات الحديدية في الأسلحة التقليدية، كالسيوف والرماح والمجانيق، ومختلف الآلات المستخدمة في عمليات الحصار[1]، إذ كانت هذه الأسلحة تصنع محليا بتلمسان ، في المصنع الذي أنشأه السلطان أبو حمو موسى الثاني (760- 791هـ/1359- 1389م)، سنة 767هـ خصيصا لذلك ، وقد أثنى يحيى ابن خلدون في وصفه قائلا:" دار الصنعة السعيدة تموج بالفعلة؛ على اختلاف أصنافهم، وتباين لغاتهم وأديانهم، فمن دراق، ورماح، ودراع، ولجام، ووشاء، وسراج، وخباء، ونجار، وحداد، وصائغ، ودباج، وغير ذلك، فتستك لأصواتهم وآلاتهم الأسماع، وتحار في إحكام صنائعهم الأذهان، وتقف دون بحرهم الهائل الأبصار.."[2]، إضافة إلى الخردوات الحديدية التي تشمل الوسائل المستخدمة في الزراعة، مثل مناجل الحصاد وسكك الحرث، ضف إلى ذلك المسامير ومختلف الأدوات الفلاحية[3] وبعض الحاجات المترلية كحلقات البيوت والقدور والسكاكين وغيرها[4].

ولعلّ أهم شيء كان يصنع من الحديد في العهد الزياني هي الأبواب، حيث كانت تلمسان محاطة بأسوار في غاية الإرتفاع والقوة، فتحت فيها خمسة أبواب[5] واسعة جدا، ومصاريعها كانت مصفّحة من الحديد[6]، ومدعمة بحصون قوية صعبة الإختراق، تمكنت بفضلها تلمسان من الصمود في عديد

---

[1] محمد عيسى الحريري، تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت، 1408هـ/ 1987م، ط.2، ص.286، **أنظر أيضا**: فؤاد طوهارة، المرجع السابق، ص.69.

[2] أبو زكريا يحيى ابن خلدون (780هـ/1378م)، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تقديم، وتعليق وتح. الدراجي بوزياني، دار الأمل للدراسات والنشر والتوزيع، الجزائر، 2007م، ج.2، ص. 323.

[3] Atella Dhina, le Royaume Abdelouadide à l'époque d'Abou Hamou Moussa 1er et d'Abou Tachfin 1er, o.p.u, Alger, 1985, p.145.

[4] بسام كامل عبد الرزاق شقدان، المرجع السابق، ص.188، **أنظر أيضا**: مختار حساني، تاريخ الدولة الزيانية، المرجع السابق، ج.2، ص.98.

[5] كانت مدينة تلمسان مؤلفة من مدينتين، إحداهما أولية تعرف بأقادير والثانية تعرف يتاجرارت، تم ضمها بسور واحد فيه خمسة أبواب هي: باب الجياد مكن القبلة، وباب العقبة من الشرق، وباب سيدي الحلوي وباب القرمادين من الشمال، وغربا باب كشوطة، **أنظر**: يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج.1، ص.19-21.

[6] الحسن الوزان، المصدر السابق، ج.2، ص.20.



المرات أمام محاولات الغزو المريني[1]، كما نجد أن السلطان أبي الحسن قد إستعان بالحدادين واستخدمهم لصناعة أبواب مسكنه وقصره في مدينة المنصورة بتلمسان[2]. وعليه فمعدن الحديد يعد من أكثر المعادن التي إعتمد عليها الزيانيين في الصناعات المعدنية، وذلك للأسباب التي ذكرتها آنفا.

ب- الصناعة النحاسية:

عرف الزيانيون إلى جانب الصناعة الحديدية صناعة النحاس، التي كانت منتشرة بالجهة الشرقية من تلمسان[3]، وتمثلت المصنوعات النحاسية في الأواني المترلية، ولوازم الخيل كاللجام وحلقة قدم السرج[4]، إضافة إلى بعض أنواع الحلي والأقراط التي كانت تتزين بها المرأة[5]، كما ضربت منه نقودا متفاوتة القيمة والنوع[6]، وذلك فضلا عن الثريات الصفرية[7]والأبواب النحاسية على اختلاف أشكالها؛ فمنها ما كانت مشتملة على مصراعين، كل مصراع منهما مصفح بالنحاس المخرم المنقوش بالخواتم المستوفاة المشتركة العمل، وتخريمه على أشكال من نحاس ملونة كانت غاية في الإبداع[8].

وقد بلغت الصناعة النحاسية ذروة رقيّها وازدهارها في عهد السلطان أبو حمو موسى الثاني (760- 791هـ/1359- 1389م)، الذي أمر عالم الحيل (الميكانيكا) وأوحد عصره، ابن الفحام

---

[1] عزي بوخالفة، المرجع السابق، ص.73.

[2] ابن مرزوق، المناقب المرزوقية، المصدر السابق، ص.448.

[3] عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج.1، ص.135.

[4] Attalah Dhina, Op.cit, p.348.

[5] بسام كامل عبد الرزاق شقدان، المرجع السابق، ص.159،188، **أنظر أيضا**: لطيفة بشاري، المرجع السابق، ص.141.

[6] الحسن الوزان، المصدر السابق، ج.2، ص.23، **أنظر أيضا**: مارمول كربخال، المصدر السابق، ج.2، ص.301.

[7] ابن مرزوق، المسند، المصدر السابق، ص.402.

[8] المصدر نفسه، ص.404.



بصنع المنجانة العجيبة المشبرة بطريقة أنيقة، تبرز لنا مدى البراعة الفائقة التي بلغها الزيانيون في صناعة المنتوجات النحاسية[1].

ج- الصياغة:[2]

كانت تلمسان والدولة الزيانية عموما موردا هاما للذهب، الذي يأتي به تجارها من بلاد السودان الغربي على أشكال مختلفة؛ تبرا وسبائك وقطعا نقدية[3]، حتى أصبحت في عهد السلطان أبي تاشفين عبد الرحمان الأول (718- 737هـ/ 1318- 1337م)، تزخر بكنوز الذهب والفضة والذخائر المختلفة من الجوهر النفيس واللؤلؤ والزمرد[4]، فإزدهرت بذلك صناعة الحلي[5] كأساور الذهب وخلاخل الفضة[6]، وسائر أنواع الجواهر التي كانت تتزين بها المرأة بوضعها على جبينها وأذنها، وجيدها وصدرها، وأصابعها وكعبيها، كالأقراط، الخواتم، الأحزمة، والقلائد المشتملة على شذور الذهب والفضة[7]، وما يؤكد ذلك رواية ابن مرزوق الذي يقول أن إحدى زوجات السلطان أبي حمو

---

[1] نصر الدين براهامي، تلمسان الذاكرة، نص سيدي محمد نقادي، دار ثالة للنشر، الأبيار، الجزائر، 2010م، ط.2، ص.68.

[2] يعرف صناعها بالصّاغة، وهم أرباب صناعة الصياغة وتجارة أدوات وحلي الذهب والفضة، ونحوهما من المعادن والجواهر الكريمة والنفيسة، وتطلق كلمة الصاغة أيضا على مكان عملهم أيضا، وكانت هذه الصناعة تمارس في الدولة الزيانية من قبل الجالية اليهودية المتواجدة بمدينة تلمسان، **أنظر**: محمد عمارة، المرجع السابق، ص.324، عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج.1، ص.123.

[3] لطيفة بشاري، المرجع السابق، ص.142، **أنظر أيضا**: مختار حساني، المرجع السابق، تاريخ الدولة الزيانية، ج.2، ص.156، بسام كامل عبد الرزاق شقدان، المرجع السابق، ص.188.

[4] الحاج عبد الله ابن الصباح (ق.8هـ/14م)، رحلة المدجن، أنساب الأخبار وتذكرة الأخيار، تعليق: محمد بن شريفة، دار أبي قراق للطباعة والنشر، د.م.ن، 2008، ط.1، ص.93.

[5] Atella Dhina, le Royaume Abdelouadide…, Op.cit, p.145.

[6] كمال أبو مصطفى، جوانب من حياة المغرب الإسلامي من خلال نوازل الونشريسي، مؤسسة شباب الجامعة للنشر، مصر، القاهرة، 1998، ص.49.

[7] العقباني التلمساني، المصدر السابق، ص.139.



موسى الأول (707- 718هـ/ 1307- 1318م)، لما توفيت خلفت حليا كثيرة ومتنوعة ورثها ولدها من غير السلطان أبي حمو[1].

و لم يكن إرتداء الحلي الذهبي حكرا على النساء فقط، بل حتى الرجال أيضا كانوا يرتدونه، حيث كان السلطان أبي الحسن يلبس في يده خاتما من ذهب على عادة الملوك، فأخبره علماء حضرته أن الأمر غير مرغوب فيه باتفاق جمهور العلماء، فطرحه واتخذ له خاتما من الفضة[2]، وبخلاف الحلي نجد أن الذهب أستعمل أيضا في تحلية واجهات المنتوجات المعدنية، كالأبواب والخزائن[3]، كما زينت به الركب والألجمة وقوائم السيوف حتى نهى الفقهاء عن ذلك[4].

وإضافة إلى الذهب كانت تصنع من الفضة ثريات المنازل والمساجد[5]، وأشياء أخرى لتزيين المنشآت المعمارية، حيث قام السلطان أبي تاشفين الأول بتزيين بهو المدرسة التاشفينية بشجرة فضية عجيبة يصفها التنسي بقوله:" وكانت عنده شجرة من فضة، على أغصانها جميع أصناف الطيور الناطقة، وأعلاها صقر. فإذا استعمل المنفاخ في أصل الشجرة، وبلغ الريح مواضع الطيور، صوتت بمنطقها المعلوم لمشابهها، فاذا وصل الريح موضع الصقر صوت فانقطع صوت تلك الطيور كلها"[6].

كما كان سلاطين الدولة الزيانية يستعينون بالمهاجرين الأندلسيين في ضرب السكة من الذهب والفضة، فوجد بذلك الدينار والدرهم وأجزائهما المختلفة[7]، إلا أن هذه العملة كانت رديئة حيث

---

[1] ابن مرزوق، المناقب المرزوقية، المصدر السابق، ص.245.

[2] ابن مرزوق، المسند، المصدر السابق، ص.130.

[3] المصدر نفسه، ص.448.

[4] العقباني التلمساني، المصدر السابق، ص.139،140، **أنظر أيضا**: محمود آغا بوعياد، جوانب من حياة المغرب الأوسط 9هـ/ 15م، دار ثالة للنشر، الأبيار، الجزائر، 2011، ط.2، ص.44.

[5] ابن مرزوق، المسند، المصدر السابق، ص.402.

[6] محمد بن عبد الله التنسي، المصدر السابق، ص.141.

[7] ابن خلدون، المصدر السابق، ج.7، ص.140،141، **أنظر أيضا**: مصطفى علوي، الأحوال الإقتصادية للمغرب الأوسط من خل كتابات الرحالة والجغرافيين المغاربة 7- 9هـ/ 13- 15م، دورية كان التاريخية، عدد.14، ديسمبر 2011م، ص.89.



يصفها لنا الوزان بقوله:" ويسك الملك نقودا من الذهب الرديء كالدنانير التي تسمى في إيطاليا بَسْلاتْشِي، غير أن القطعة الواحدة تساوي دينارا وربعا إيطاليا لكونها كبيرة جدا. ويسك أيضا نقودا فضية غير خالصة."[1] لأنها كانت تخلط بالنحاس، غير أن مظهرها كان يبدو غاية في الجودة والإتقان لما تحمله من أشكال هندسية[2]، وأقوال مأثورة لأسماء الملوك والسلاطين، وآيات من القرآن المبين، ومعلومات أخرى تبين أنها ضربت بتلمسان عاصمة الزيانيين[3].

وفي هذا الصدد يخمن مختار حساني بأن هذه العملة كانت من أجود العملات المستعملة في الدول المعاصرة للدولة الزيانية في عصرها الذهبي، وهو بذلك يرجع الفساد الذي أصاب العملة بالدرجة الأولى، إلى إحتكار الجالية اليهودية للأنشطة الإقتصادية خلال عصر الإنحطاط، زيادة على الإشراف في جباية الضرائب من الموانئ، وأخذ المكوس على القوافل القادمة إلى مدنها أو المبارحة لها، ضف إلى ذلك الإنقاص من وزنها نتيجة لبعض الإتفاقات التي كانت تتم بين العاملين في دار السكة وأمراء الدولة، وذلك راجع على حد قوله لقلة المراقبة على العملة[4].

5- صناعة مواد البناء:

شهدت صناعة مواد البناء تطورا ملحوظا خلال العهد الزياني، ويرجع ذلك إلى شغف الزيانيين وولوعهم بفنون العمران، حيث إختطوا القصور المؤنقة والمنازل الحافلة بتلمسان التي أصبحت من أعظم أمصار المغرب الإسلامي[5]، مستعينين في ذلك بالأندلسيين والأسرى الأوروبيين، خاصة في عهد السلطانين أبو حمو موسى الأول (707-718هـ/1307-1318م)، وإبنه أبو تاشفين عبد الرحمان الأول (718-737هـ/ 1318-1337م)، الذي كان مولعا ببناء الدور وتشييد القصور،

[1] الحسن الوزان، المصدر السابق، ج.2، ص.23.

[2] مارمول كربخال، المصدر السابق، ج.2، ص.301، **أنظر أيضا**: أبي العباس الونشريسي، المصدر السابق، ج.6، ص.129.

[3] فؤاد طوهارة، المرجع السابق، ص.69.

[4] مختار حساني، تاريخ الدولة الزيانية، المرجع السابق، ج.2، 126،127.

[5] ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج.7، ص.105.



التي استدعى لها الصناع والفعلة من الأندلس، فبعث إليه السلطان أبو الوليد صاحب الأندلس بالمهرة و الحذاق من أهل صناعة البناء بالأندلس، فاستجادوا له القصور والمنازل والبساتين، بما أعيى الناس بعدهم أن يأتوا بمثلها[1].

كما أنه استعان بآلاف عديدة من فعلة أسرى الروم بين نجارين وبنائين، وزليجين وزواقين، مخلدا بذلك آثارا لم تكن لملك قبله، ولا عرف لها بمشارق الأرض ومغاربها نظير، كدار الملك ودار السرور، والصهريج الأعظم[2]، وأبي فهر[3]، ومنه نستطيع القول أن الدولة الزيانية عرفت تطورا عمرانيا، صاحبه رقي وإزدهار في صناعة مواد البناء التي نذكر منها:

أ- صناعة القرميد والآجر:

كان الآجر والقرميد[4] يصنعان من الطين، وبعد جفافه يطلى باللون الأحمر والأخضر اللامع[5]، ويحرق في الأفران التي كانت منتشرة بمدينة تلمسان وضواحيها، خصوصا قرب باب القرمادين[6] في

---

[1] ابن خلدون، المصدر نفسه، ص.190.

[2] يقع هذا الصهريج بغرب مدينة تلمسان قرب باب كشوط، يبلغ طوله 200 متر، وعرضه 100 متر، أما عمقه فيبلغ ثلاثة أمتار، جلب إليه الماء من المرتفعات، ومن منابع لالا ستي التي تطل على تلمسان من جهة الجنوب. إستعملت مياهه في سقي الحقول والبساتين، وفيه كان الجند يقومون بالتدريبات العسكرية والسباحة والقتال، ولا يزال هذا الصهريج قائما إلى اليوم، حيث يطلق عليه أهل تلمسان حاليا إسم" صهريج مبدي"، **أنظر**: محمد بن عبد الله التنسي، المصدر السابق، ص.140، هامش رقم: 169، عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج.1، ص.125.

[3] يحيى ابن خلدون، المصدر السابق، ج.1، ص.134، **أنظر أيضا**: محمد بن عبد الله التنسي، المصدر السابق، ص.140، رابح بونار، المرجع السابق، ص.288.

[4] كان للقرميد والآجر مقاسات معينة حيث تتراوح أطوال اللبنة الواحدة ما بين 0.26م طولا، و0.12م عرضا، وسمكها 0.04م أما الوصلات فتبلغ 0.03م، إلا أن هذه المقاسات لم تكن ثابتة إذ أنها تزيد تبعا لإحتياجات التقصيب، **أنظر**: وليام وجورج مارسي، المعالم الأثرية العربية لمدينة تلمسان، تقديم وتر. مراد بلعيد وآخرون، دار الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر، 1432هـ/ 2011م، ص.72، وللمزيد من المعلومات حول مقاسات القرميد، **أنظر**: جودت عبد الكريم يوسف، المرجع السابق، ص.118.

[5] محمد بن رمضان شاوش، المرجع السابق، ج.2، ص.16.

[6] ابن مريم، المصدر السابق، ص.137، **أنظر أيضا**: مختار حساني، المرجع السابق، ج.2، ص.96.



الشمال الغربي، وباب العقبة في الجنوب الشرقي[1]، وقد تطورت هذه الصناعة في عهد العاهل الزياني يغمراسن بن زيان، الذي استعمل الآجر والقرميد في بناء مساجد الدولة العبد الوادية، كمسجد أكادير الذي استكمل تشييد الجزء الأعلى من مئذنته بالآجر الأحمر، ومثلها في ذلك مئذنة الجامع الكبير التي بنيت هي الأخرى بالآجر[2]، وبالإضافة إلى هذا الأخير نجد استعمال الحجر الذي كان يجلب من محجرة عين تاقبالت، أو يصنع بمزج الطين وخلطه ببقايا متعددة المصدر، كحطام المباني والأخشاب والجير، ثم وضعه في قوالب معدة خصيصا لهذا الغرض يناهز علوها 0.8 متر، وبعد مدة معينة يرفع القالب وتترك تلك اللبنات المشكلة لتجف وتتصلب بمرور الزمن، حتى تصبح حجرا صلبا صالحا للبناء[3]. أما القرميد فاستعمل في تغطية منازل الطبقة الميسورة والمتوسطة[4]، كما استعمل أيضا في تغطية سطوح المساجد والأضرحة، بوضعه على الألواح الخشبية فيقيها من المطر والثلج والبرد[5].

وبعيدا عن النسيج الحضري نجد أن المباني كانت تشيد بالطين أو الطوب الموثق بالجير؛ ومثال ذلك قصر إيسلي الذي يصفه الحسن الوزان بقوله:" ولا يشتمل القصر الا على أكواخ سيئة، ذات جدران من الطين وسقوف من القش"[6]، أما الطوب الموثق بالجير فبنيت به مساجد ومنازل مدينة وجدة، وأسوار مدينة ندرومة[7].

---

[1] عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج.1، ص.135، **أنظر أيضا**: فؤاد طوهارة، المرجع السابق، ص.68.

[2] خالد بلعربي، الدولة الزيانية، المرجع السابق، ص.240، **أنظر أيضا**: وليام وجورج مارسي، المرجع السابق، ص.55.

[3] وليام وجورج مارسي، المرجع السابق، ص.72،74.

[4] عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج.1، ص.121.

[5] محمد بن رمضان شاوش، المرجع السابق، ج.2، ص.16، **أنظر أيضا**: وليام وجورج مارسي، المرجع السابق، ص.74.

[6] الحسن الوزان، المصدر السابق، ج.2، ص.12، **أنظر أيضا**: مارمول كربخال، المصدر السابق، ج.2، ص.293،294.

[7] مارمول كربخال، المصدر نفسه، ص.294،295.



ب- صناعة مواد الزخرفة:

تميز الزيانيون وسلاطينهم بالتنافس في تشييد المنشآت العمرانية والتباهي بها، لأنها كانت تعد رمزا من رموز القوة والإزدهار[1]، مما فتح المجال لبروز الصناعات الزخرفية المكملة للبناء كصناعة الجبس أو الجص، الذي إستخدم في تكسية وتلبيس جدران المباني، ونقشها بالرسوم والزخارف المختلفة[2]، وتزيين محاريب المساجد كمحراب مسجد أولاد الإمام[3]، إضافة إلى صناعة الفخار الذي استخدم في تبليط وتزليج الأرضيات[4]، بإستعمال المربعات الخزفية كتلك التي وجدت بقصر المشور[5]، ومدينة هنين التي يصفها الحسن الوزان بقوله:" ودورهم في غاية الجمال والزخرفة...وأرضها مبلطة بالزليج الملون، وسطوح الحجرات أيضا مزينة بنفس الزليج، والجدران مكسوة كلها بالفسيفساء الفنية"[6]، والأصباغ المختلفة الألوان[7].

كما استخدم الخزف في تزيين المدارس أيضا، كالمدرسة التاشفينية[8] التي كانت آية في الزخرفة والجمال. إذ يصفها فؤاد طوهارة نقلا عن جورج مارسي فيقول:" ولعب التلبيس الخزفي في الزخرفة

---

[1] عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج.1، ص.116.

[2] ابن مرزوق، المسند، المصدر السابق، ص.448، **أنظر أيضا**: وليام وجورج مارسي، المرجع السابق، ص.73،74.

[3] مختار حساني، تاريخ الدولة الزيانية، المرجع السابق، ج.2، ص.97.

[4] يحيى ابن خلدون، المصدر السابق، ج.1، ص.134، **أنظر أيضا**: محمد بن عبد الله التنسي، المصدر السابق، ص.140، عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج.1، ص.120.

[5] وليام وجورج مارسي، المرجع السابق، ص.55.

[6] الحسن الوزان، المصدر السابق، ج.2، ص.15.

[7] ابن مرزوق، المسند، المصدر السابق، ص.287،288.

[8] **المدرسة التاشفينية**: نسبة إلى السلطان أبو تاشفين الأول إبن أبي حمو (718- 737هـ)، وهو الذي قام ببناء وتشييد هذه المدرسة بجانب الجامع الأعظم، فكانت هذه الأخيرة من أهم وأبرز مدارس المغرب الأوسط، **أنظر**: الشريف التلمساني، المصدر السابق، ص.32.

دورا هاما...فجهزت بالخزف محيطات الأبواب ورصف القاعات، وتقدمت المصلى فسيفساء من المرمر تأثرت بزخرفة ضفرية نباتية رقيقة "[1].

وقد لعبت الجالية الأندسية دورا بارزا في تطور العمارة الزيانية ورقيّها، حيث يتجلى ذلك فيما خلفته من آثار زخرفية، سواء كانت نباتية أو كتابية في مختلف المدارس والمساجد، كمسجدي أولاد الإمام وسيدي أبي الحسن[2]، وقصر المشور الذي يعتبر من أهم معالم بني عبد الواد التي شيدها الأندلسيون[3].

6- الصناعات الفخارية والخشبية:

أ- صناعة الأواني الفخارية:

عرفت مدن الدولة الزيانية صناعة الأواني الفخارية ذات الإستعمال المترلي، والتي اختصت بصناعتها النساء اعتمادا على وسائل ومعدات تقليدية، الا أن هذه الحرفة تطورت بمرور الزمن وإتساع النسيج العمراني، الذي صاحبه إنتشار الأفران الخاصة بطهي الأواني الفخارية[4]، المتمثلة في الكؤوس والأقداح والأطباق والأباريق[5]، إضافة إلى الصحون والخوابي والقدور المستعملة في حفظ الطعام، وكذلك المبارد والجرار لوضع الماء[6]، وغيرها من الأواني التي يحتاجها الناس في حياقم اليومية.

وتعتبر هذه الصناعة من الصناعات التي ورثها الزيانيين عن أسلافهم من الموحدين، الذين كانت صناعة الفخار في عهدهم تمثل مصدر رزق للكثير من الأسر والأفراد، وخير دليل على ذلك والد عبد المؤمن بن علي التلمساني، الذي كان يشتغل بعمل الطين، فيصنع منها الأواني المختلفة، ثم يبيعها

---

[1] فؤاد طوهارة، المرجع السابق، ص.68.

[2] مختار حساني، تاريخ الدولة الزيانية، المرجع السابق، ج.2، ص.97.

[3] وليام وجورج مارسي، المرجع السابق، ص.55.

[4] مختار حساني، الحواضر والأمصار، المرجع السابق، ج.4، ص.29.

[5] خالد بلعربي، الدولة الزيانية، المرجع السابق، ص.239.

[6] عبد العزيز محمود لعرج، المرجع السابق، ص.210، **أنظر أيضا**: سكينة عميور، المرجع السابق، ص.175، جودت عبد الكريم يوسف، المرجع السابق، ص.118.



ويستغني بثمنها[1]، وبمجيء بنو عبد الواد طوّروا هذه الصناعة، فأصبحت المنتوجات الفخارية سواء كانت أواني الطهي أو حفظ المؤونة، أو السوائل كالزيوت والسمن وغيرها، مستعملة من طرف كل الطبقات الإجتماعية[2].

ب- الصناعات الخشبية:

عرفت أراضي المغرب الأوسط في العصر الزياني بكثرة الغابات، خصوصا في مليانة[3]، جبل وانشريس[4]، وبجاية[5]، حيث شكلت هذه الغابات ثروة خشبية هامة أستغلت في النجارة، التي تقوم على تفصيل الخشب أولا؛ إما بخشب أصغر منه أو ألواح، ثم تركيب تلك الفصائل بحسب الصور المطلوبة إلى أن يتم صنع الشكل المخصوص[6].

وقد تمثلت المصنوعات الخشبية بالدرجة الأولى في متطلبات العمارة كصناعة السقوف الخشبية، والأبواب والنوافذ[7]، إضافة إلى المقصورات والمنابر[8]، التي كانت تزين بالعاج والصندل والأبنوس

---

[1] محمود مقيدش (ت.1228هـ/1813م)، نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، تح. علي الزواوي ومحمد محفوظ، دار الغرب الاسلامي للنشر، بيروت، لبنان، 1988م، ط.1، ج.1، ص.462، **<u>أنظر أيضا</u>**: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت.748هـ/1347م)، العبر في خبر من غبر، حققه وضبطه على مخطوطتين: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية للشر، بيروت، 1405هـ/1985م، ط.1، ج.3، ص.29.

[2] مختار حساني، تاريخ الدولة الزيانية، المرجع السابق، ج.2، ص.96.

[3] عبد المنعم الحميري، المصدر السابق، ص.547.

[4] المصدر نفسه، ص.600.

[5] الحسن الوزان، المصدر السابق، ج.2، ص.51، **<u>أنظر أيضا</u>**: مارمول كربخال، المصدر السابق، ج.2، ص.376.

[6] ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص.446.

[7] خالد بلعربي، الدولة الزيانية، المرجع السابق، ص.240.

[8] أبو الحسن علي الجزنائي، جني زهرة الآس في بناء مدينة فاس، تح. عبد الوهاب ابن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، 1411هـ/1991م، ط.2، ص.27.



المذهب[1]، ولعل من أهم الآثار التي خلفها الزيانيين في هذا المجال، ثرية مسجد تلمسان التي اشتملت على ألف مشكاة أو نحوها، وهي عبارة عن أربعة حلقات من خشب الأرز مطلية بالنحاس المنقوش، وتحمل عددا كبيرا من المصابيح، أما محيطها الداخلي فيبلغ طوله ثمانية أمتار[2]، تضاف اليها إحدى أبواب المدرسة التاشفينية المحفوظة في متحف تلمسان، وهي تعود إلى القرن الثامن هجري/ الرابع عشر ميلادي، والظاهر عليها أنها تأثرت بنظيراتها الأندلسية[3].

أما صناعة الأواني فقد إزدهرت في مدينة مليانة، التي وصفها الحسن الوزان بقوله:" ويصنع سكانها أواني من خشب في غاية الحسن"[4]؛ منها الملاعق لتناول الطعام[5]، والأوعية الخشبية سواء كانت معدة للشراب[6] أو لنقل الحليب[7]، كما صنع الزيانيون من الخشب الأثاث المترلي، المتمثل بالأساس في الأسِرّة والخزائن، والصناديق الخشبية المطلية بالذهب والفضة[8]، بالإضافة إلى هذا نجد من الأثاث الكراسي[9] والموائد والطيافير وآلات الحياكة للنسيج، والنعوش لحمل الأموات...إلخ[10].

[1] ابن مرزوق، المسند، المصدر السابق، ص.402،404، **أنظر أيضا**: فؤاد طوهارة، المرجع السابق، ص.68.

[2] ابن المصدر نفسه، ص.402، **أنظر أيضا**: العقباني التلمساني، المصدر السابق، ص.41، خالد بلعربي، الدولة الزيانية، المرجع السابق، ص.240.

[3] مختار حساني، تاريخ الدولة الزيانية، المرجع السابق، ج.2، ص.98، **أنظر أيضا**: نصر الدين براهامي، المرجع السابق، ص.67.

[4] الحسن الوزان، المصدر السابق، ج.2، ص.35.

[5] محمد بن رمضان شاوش، المرجع السابق، ج.2، ص.21.

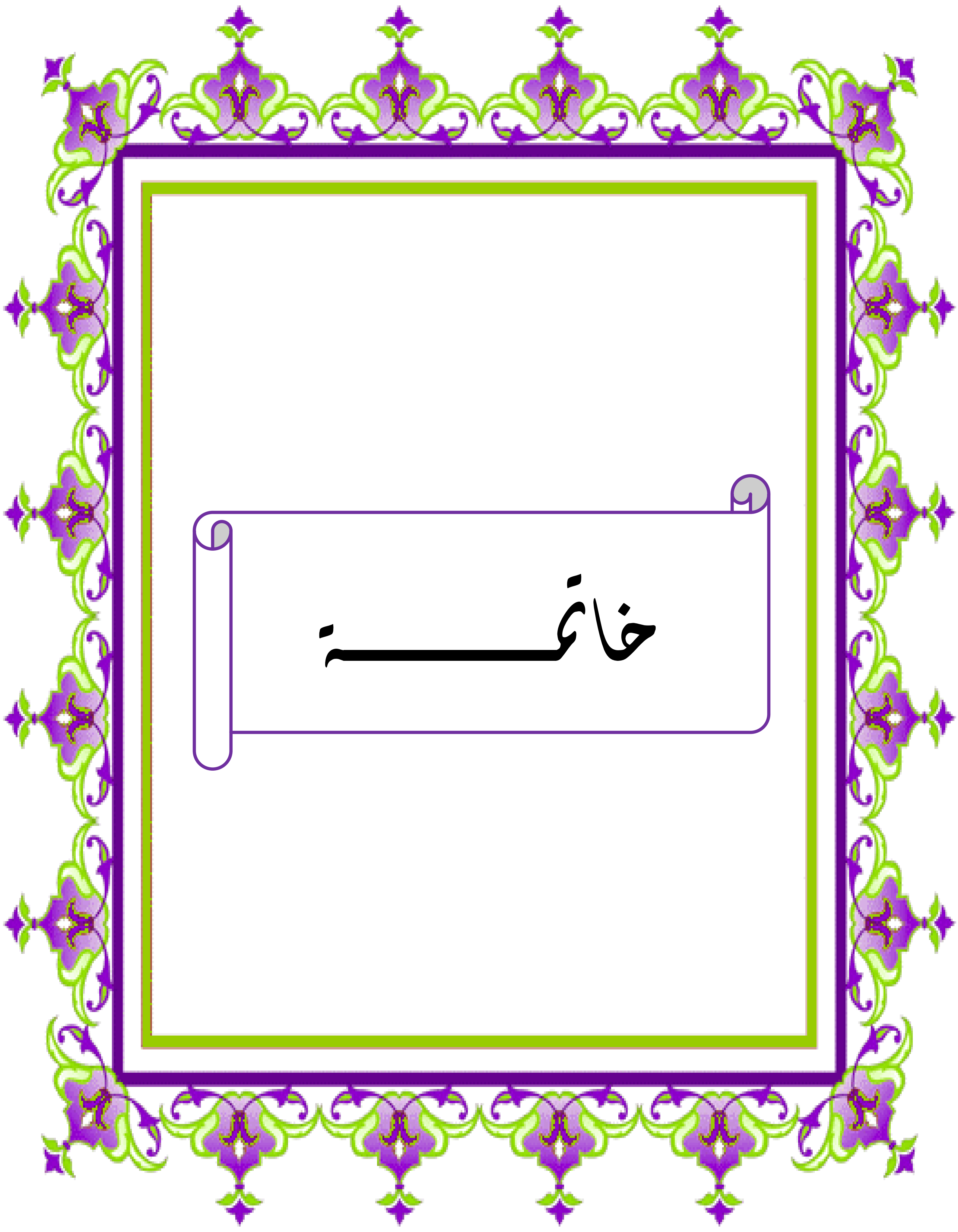
[6] مارمول كربخال، المصدر السابق، ج.2، ص.360.

[7] خالد بلعربي، الدولة الزيانية، المرجع السابق، ص.240.

[8] مختار حساني، تاريخ الدولة الزيانية، المرجع السابق، ج.2، ص.98.

[9] ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص.446.

[10] محمد بن رمضان شاوش، المرجع السابق، ج.2، ص.18.



خاتمـــــة

خاتمـــــــــة:

من خلال دراستي لموضوع الصناعات والحرف في العصر الزياني (633-962هـ/1235-1454م)، توصلت إلى جملة من النتائج التي يمكن إبرازها وحوصلتها فيما يلي:

لعب الجانب الإقتصادي دورا كبيرا في جعل مدن الدولة الزيانية، وخاصة مدينة تلمسان قطبا اقتصاديا هاما في بلاد المغرب الإسلامي، وذلك نظرا لغناها بمختلف المواد الأولية- الأصواف، الجلود، المعادن، الأخشاب..- وتحكمها في طرق القوافل التجارية، مما سمح لها بتصدير منتوجاتها من الصناعات الحرفية نحو العديد من البلدان.

ومما لا شك فيه هو أن هذه المكانة لم تكن وليدة الصدفة، وانما كانت نتيجة للمجهودات التي بذلها سلاطين بني زيان من خلال تشجيعهم للصناع والحرفيين، الأمر الذي لعب دورا فعالا في تنشيط وتيرة الصناعات الحرفية، بإعتبارها الركيزة الأساسية في النهوض بالدولة الزيانية نحو الرقي والإزدهار.

وفيما يخص تتبعي للنشاط الحرفي وتنظيماته بأراضي الدولة العبد الوادية، إستنتجت أن هذا الأخير- النشاط الحرفي- على اختلافه كان منتشرا بكثرة في جل ربوع الدولة، حيث تفنن الزيانيون في مختلف الصناعات والحرف اليدوية، التي ساهمت بقسط كبير في تنشيط الأسواق الزيانية خاصة في فترات الهدوء والاستقرار السياسي.

ومن هذا المنطلق نجد أن معظم المدن الزيانية لم تخرج عن قواعد العمران الإسلامي، من حيث توزيع الصناعات والحرف، التي كانت تزاول في الورشات والمراكز الحرفية أو في الأسواق على حد سواء، وذلك بدليل التخصص في الأسواق الذي نتج عنه بروز العديد من الطوائف الحرفية، حيث تضم كل طائفة أصحاب الصنعة أو الحرفة الواحدة، وتتجلى وظائفها في السهر على حماية حقوق الصناع والحرفيين المنتمين إلى الطائفة، والدفاع عن مصالحهم، فضلا عن السعي لحل مشاكلهم المختلفة. وبالإضافة لمهام هذه الطوائف كان للمحتسب وأعوانه لمسة خاصة في تنظيم النشاط الحرفي، من خلال قمع الغش في مختلف الصناعات، وابعاد كل الأنشطة التي من شأنها أن تضر بالمدينة وساكنتها إلى خارج الأسوار.

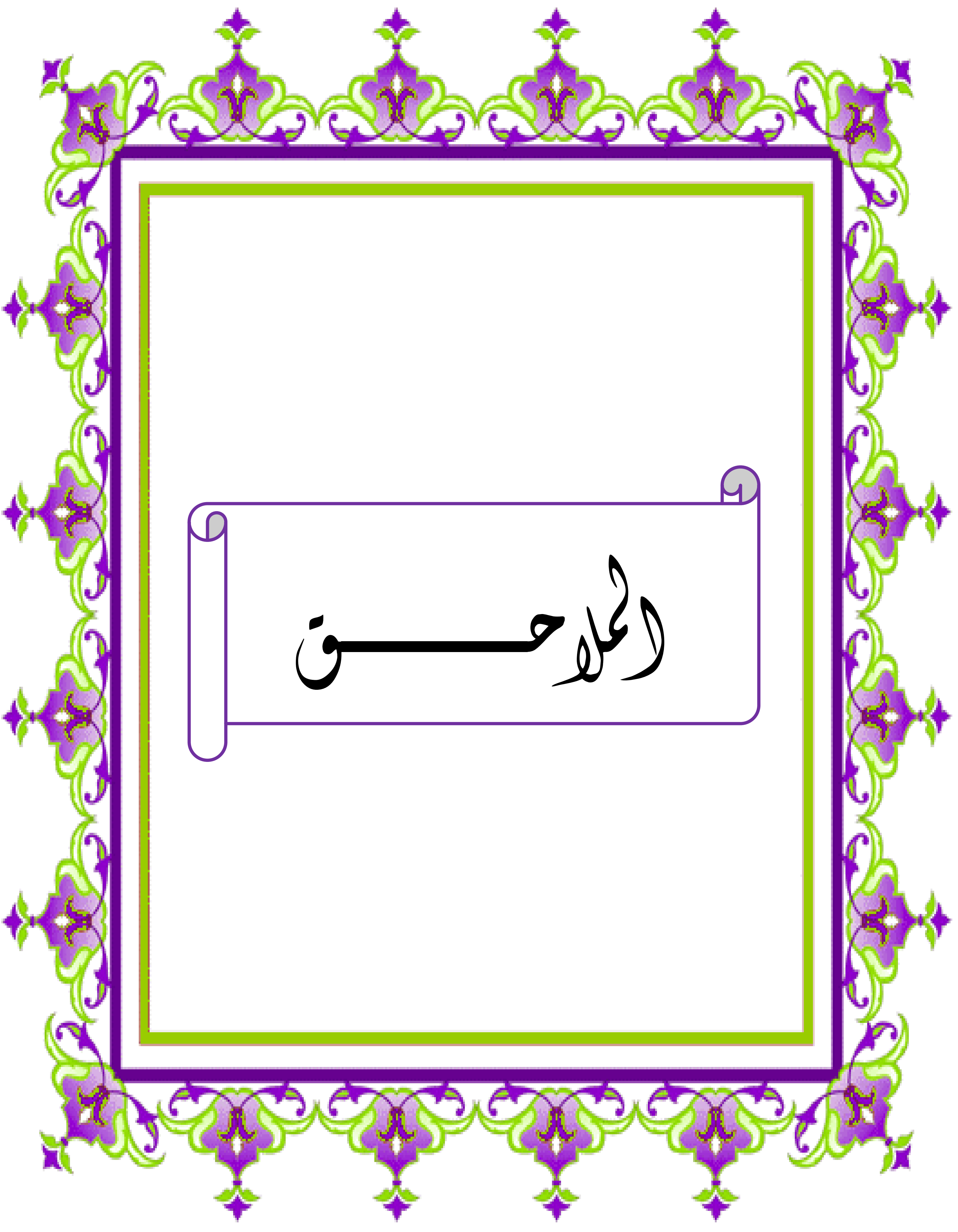


ولعل من أهم النتائج التي توصلت إليها هي تنوع الصناعات الزيانية، التي لم تقتصر على صناعة دون أخرى، بل شملت معظم الصناعات التي لها صلة وثيقة بحياة الانسان اليومية، كالصناعات النسيجية، الغذائية، الجلدية، والمعدنية...إلخ. ثم أن هذه الصناعات لم تكن تزاول من قبل الزيانيين فقط، وانما كانت تزاول من قبل أجناس أخرى برزت في هذا المجال، سيما الجالية الأندلسية التي كان لها باع كبير في تطور ورقي الكثير من الصناعات الزيانية، إضافة إلى الجاليات اليهودية والأسرى المسيحيين، الذين مثلوا اليد العاملة التي إستغلها سلاطين بني عبد الواد في تشييد منشآتهم العمرانية.

وبالرغم من التقلبات السياسية والعسكرية التي شهدها العصر الزياني، وما نتج عنها من تأثيرات على مختلف الجوانب، الا أنه يمكن القول أن الصناعات الزيانية بلغت درجة عالية من الجودة والإتقان، كالصناعة النسيجية التي لقيت رواجا واسعا في بلاد المغرب الإسلامي، إضافة إلى الصناعة المعدنية خاصة صناعة الأبواب الحديدية، التي كانت حاجزا منيعا مكن تلمسان من الصمود في وجه الحملات الحفصية والمرينية في العديد من المناسبات. والحال نفسه ينطبق على بقية الصناعات الأخرى التي جعلت من تلمسان ثاني أهم حاضرة ببلاد المغرب الإسلامي، وفي الأخير أتمنى أن أكون قد وفقت ولو لحد معتبر في تسليط الضوء على هذا الموضوع البالغ الأهمية، والذي أرى أنه لا يزال بحاجة إلى دراسات أشمل وأعمق في المستقبل إنشاء الله.

والله ولي التوفيق.




الملاحــــــق

ملحق رقم (01): خريطة الدولة الزيانية

الدولة النصرية
غرناطة
مالقة
قادس
سبتة
طنجة
فاس
مكناس
الدولة المرينية
مراكش
تلمسان
وهران
مستغانم
تنس
الجزائر
بجاية
مليانة
المدية
تيارت
قسنطينة
بونة
تونس
القيروان
سفاقس
قابس
الدولة العبد الوادية
الدولة الحفصية
تقرت
ورقلة
المنيعة
تيميمون
توات
دول المغرب الإسلامي
ما بعد الموحدين.

.................حدود الدول

———— حدود الأودية

المرجع: الدراجي بوزياني، مرجع سابق، ص 304.(بتصرف من الطالب)



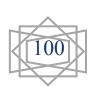
ملحق رقم (02): خرطة مدينة تلمسان الزيانية

بيـــان

1- الشور
2- المسجد الجامع
3- مسجد سيدي ابي الحسن
4- مسجد ابني الامام
5- مسجد الشيخ السنوسي
6- مسجد سيدي البناء
7- مسجد سيدي اليدون
8- مسجد سيدي ابراهيم المصمودي
9- ضريح سيدي مرزوق
10- ضريح سيدي معمر بن عالية
11- ضريح سيدي ابي الحسن
12- باب كشوط
13- باب القرمادين
14- حمام الصباغين
15- حمام الحضرة
16- المدرسة التشفينية
17- المدرسة اليعقوبية
18- القيسارية القديمة
19- المقبرة الزيانية
20- سوق الخضر واللحم والخبز القديمة
21- سوق الحدادين والصباغين والعطارين
22- سوق الخياطين والنساجين
23- سوق الغزل
24- سوق الشابين والعطاريين والات الفلاحة والخزف
25- سوق الاحصرة والبسط والحبوب
26- سوق الخرازين والسراجين (فندق الرمانة)
27- سوق الصاغة
28- دار الحديث
29- الكنيسة
30- بيعة اليهود
31- السور الذي شيدته فرنسا .

قياس 7
30 000

العنوان:
المرجع: محمد الطمار، مرجع سابق، ص. 284،285.





غزل الصوف[1]





حرفي الطرز



نساج*



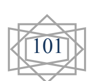
آلة قرداش**

---

[1] نصر الدين براهامي، مرجع سابق، ص. 136، 139.

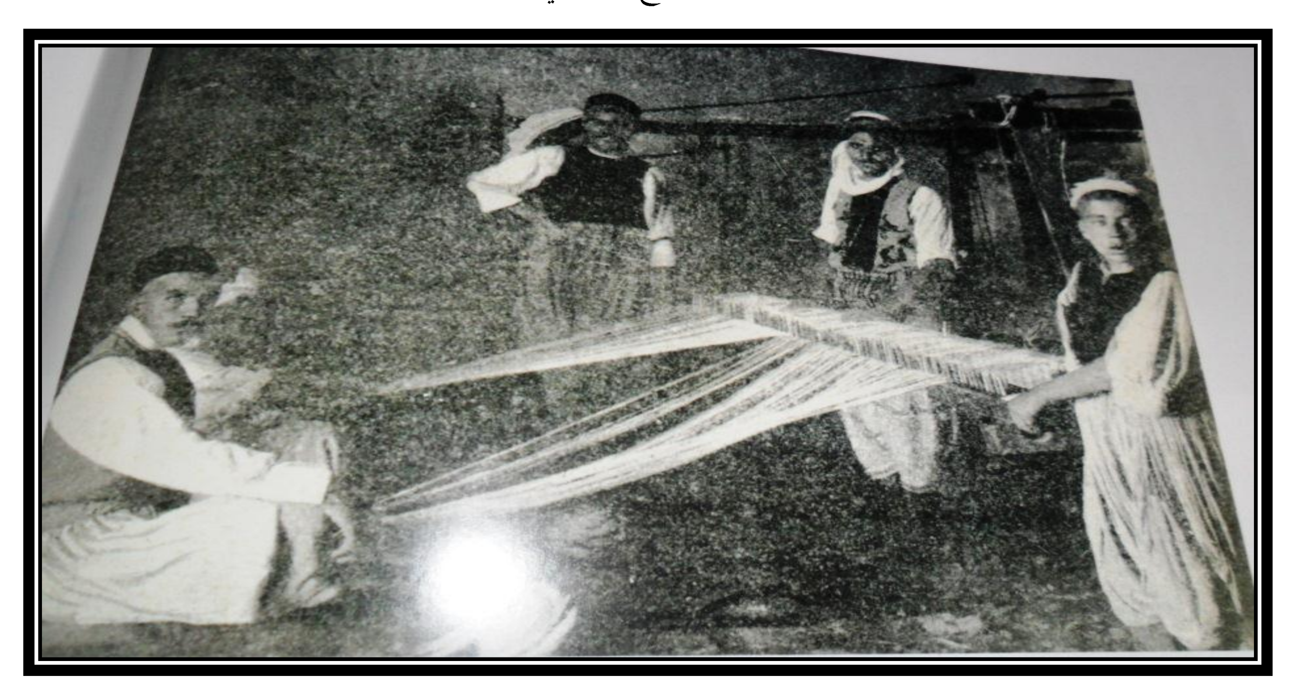
* المرجع نفسه، ص. 133.

** عزي بوخالفة، مرجع سابق، ص. 431.





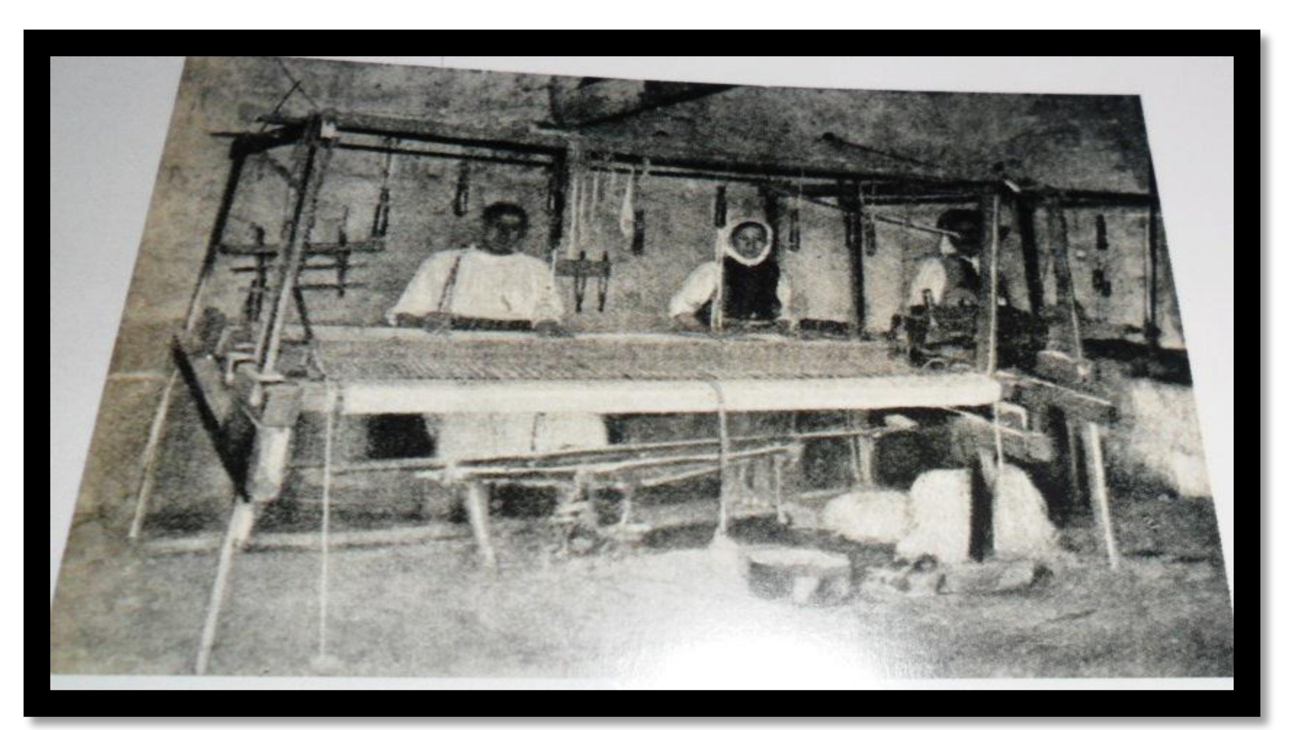
نساج تلمساني



عمال أثناء السدي "Moulage"

[1] نصر الدين براهامي، مرجع سابق، ص. 41، 134.



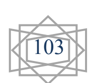


النسيج الكبير المسمى بـــ "المرمه الكبيرة"



النسيج الصغير المسمى بـــ "المرمه المنسوج"

[1] نصر الدين براهامي، مرجع سابق، ص. 134.





غطاء بورابح "نصف عمارة"



فراش "عمارة"

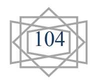


غطاء "بورابح حشايشي"



نموذج "غطاء بورابح"

[1] نصر الدين براهامي، مرجع سابق، ص 133.





حرفي النحاس [1]



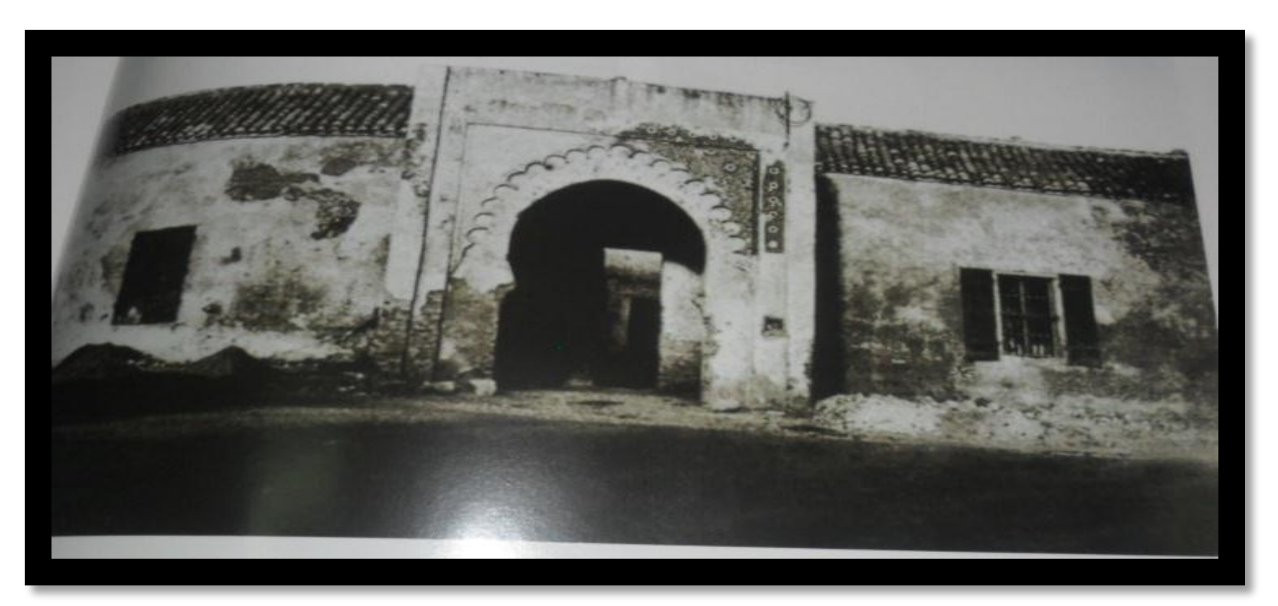
مصنوعات نحاسية[2]

---

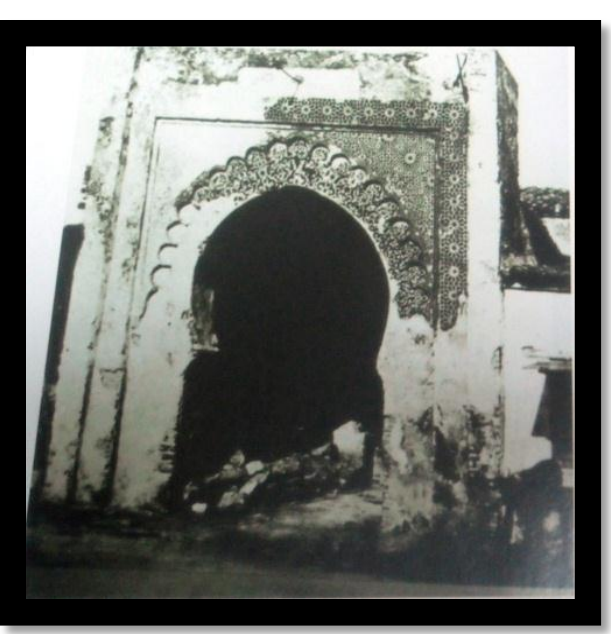
[1] نصر الدين براهامي ، مرجع سابق، ص 137.

[2] من كتاب تلمسان عاصمة التراث والتاريخ، مديرية الثقافة لولاية تلمسان، صادر في إطار تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية، Cdsp للنشر، 2011، ص 147.





الواجهة الشمالية للمدرسة التاشفينية ق 1859 م

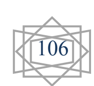


باب المدرسة التاشفينية



آثار باب المدرسة التاشفينية

نصر الدين براهامي، المرجع السابق، ص 84.



نموذج من ساعة فاس يشبه منجانة تلمسان (نموذج تقريبي) [1]

[1] نصر الدين براهامي، مرجع سابق، ص 78.

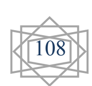


سورة الفاتحة (غلاف المصحف مصنوع من الجلد ومزخرف بالذهب) النسخة محفوظة بالمكتبة الوطنية بالجزائر ويعود تاريخها إلى 768هـ-1367م.



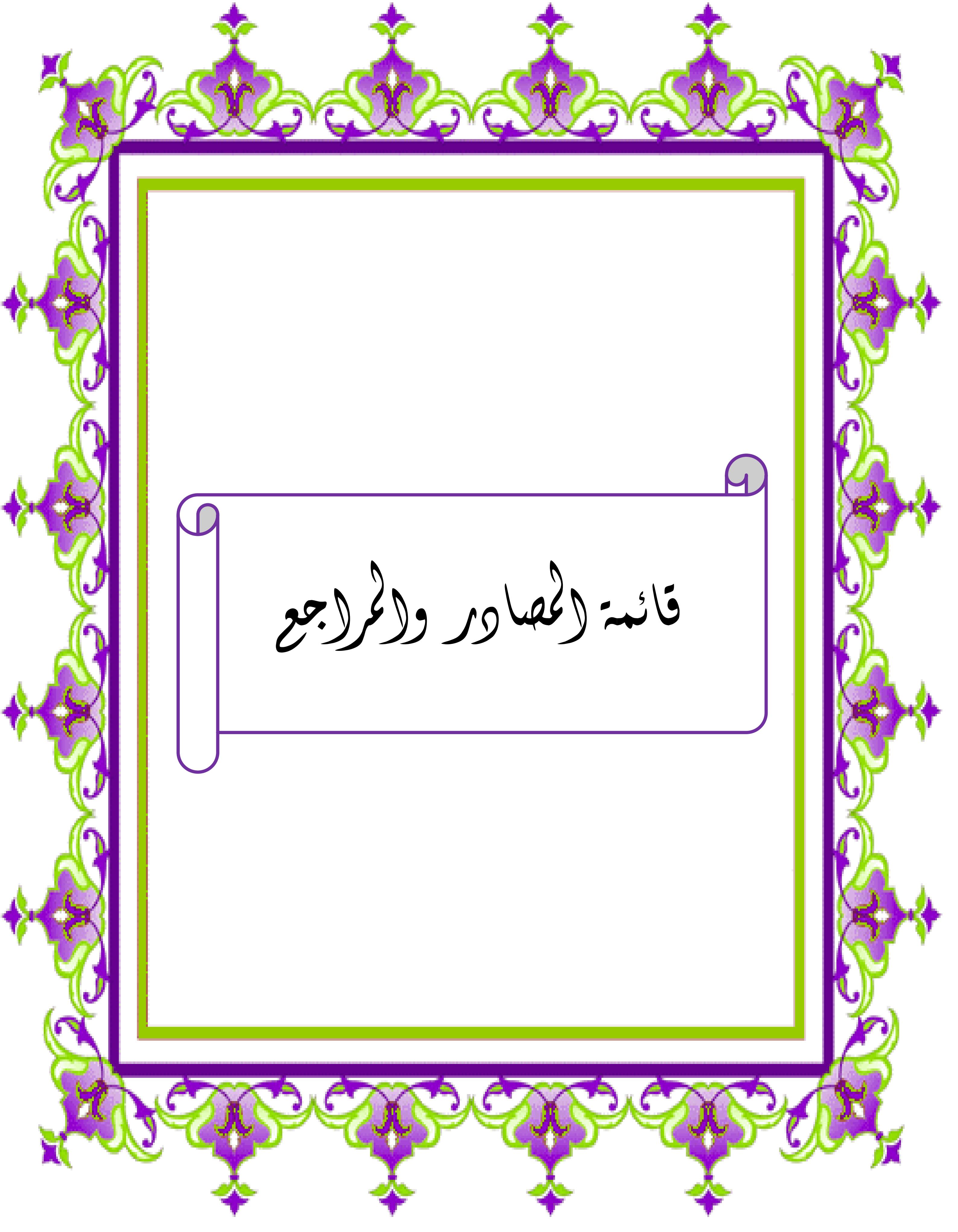
الذراع الملكية التي أنشأها السلطان أبو تاشفين الأول سنة 1328م (متحف تلمسان).

جيلالي صاري، مرجع سابق، ص 85، 130.



باب القرمادين بتلمسان [1]

[1] عزي بوخالفة، مرجع سابق، ص 75.


قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم: برواية ورش عن الإمام نافع.

1- المصادر:

1. ابن أبي دينار: أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم (ت.1110هـ/1699م)، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، مطبعة النهضة، تونس،1931م، ط.1.
2. ابن أبي زرع: علي بن عبد الله الفاسي (ت. 726هـ/ 1326م)، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972.
3. ابن الأحمر: أبو الوليد إسماعيل (ت.810هـ/1408م)، روضة النسرين في دولة بني مرين، تح. عبد الوهاب بن منصور، مطبوعات القصر الملكي، المطبعة الملكية، الرباط، 1382هـ/1962م.
4. ابن الأحمر: تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان، تح. وتقديم وتعليق، هاني سلامة، مكتبة الثقافة الدينية للنشر، بورسعيد، القاهرة، 1421هـ/2001م، ط.1.
5. ابن الحاج النميري: إبراهيم بن عبد الله بن محمد (ت.774هـ/ 1372م)، فيض العباب وإفاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب، دراسة وإعداد: محمد إبن شقرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1990، ط.1.
6. ابن الخطيب: لسان الدين (ت.776هـ/1374م)، الإحاطة في أخبار غرناطة، تح. محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي للنشر، مصر، القاهرة، 1393هـ/1973م، ط.2، ج.1.
7. ابن الزيات التادلي: أبو يعقوب يوسف بن يحيى (ت.617هـ/1220م)، التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، تح. أحمد التوفيق، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، المملكة المغربية، 1997، ط.2.
8. ابن الصباح: الحاج عبد الله (ق.8هـ/14م)، رحلة المدجن، أنساب الأخبار وتذكرة الأخيار، تعليق: محمد بن شريفة، دار أبي قراق للطباعة والنشر، د.م.ن، 2008، ط.1.



9. ابن بطوطة: محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي (ت.756هـ/ 1355م)، رحلة إبن بطوطة المسماة، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، المطبعة الأزهرية، مصر، القاهرة، 1346هـ/1928، ط.1، ج.2.

10. ابن خلدون: أبو زكريا يحيى بن محمد (ت.780هـ/1378م)، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، نشره وترجمه إلى الفرنسية: ألفرد بل، مطبعة بيير فونتانا الشرقية، الجزائر، 1321هـ/1903م، ج.1.

الجزء الثاني: تقديم وتحقيق وتعليق، بوزياني الدراجي، دار الأمل للدراسات والنشر والتوزيع، الجزائر، 2007م، ج2.

11. ابن خلدون: أبو زيد عبد الرحمان بن عمر (ت.808هـ/1405م)، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مراجعة: سهيل زكار، دار الفكر للنشر، لبنان، بيروت، 1421هـ/2000، ج.7.

12. ابن خلدون: أبو زيد عبد الرحمان بن عمر (ت.808هـ/1405م)، المقدمة، إعتناء ودراسة: أحمد الزغبي، دار الأرقم للنشر، بيروت، لبنان، 1422هـ/2001م.

13. ابن سعيد المغربي: أبو الحسن علي بن موسى (ت.685هـ/1268م)، كتاب الجغرافيا، تح. إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 1982م، ط.2.

14. ابن صعد: محمد بن أحمد بن أبي الفضل (ت.901هـ/1496م)، روضة النسرين في التعريف بالأشياخ الأربعة المتأخرين، مراجعة وتح. يحيى بوعزيز، منشورات ANEP، الأبيار، الجزائر، 2002م.

15. ابن عبد الرؤوف: أحمد بن عبد الله، رسالة في آداب الحسبة والمحتسب، ضمن ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب، تح. ليفي بروفنسال، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، 1955،ج.2.

16. ابن عبدون: رسالة في القضاء والحسبة، ضمن ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب، تح. ليفي بروفنسال، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، 1955م،ج.2.

17. ابن قنفد: أبو العباس أحمد القسنطيني (ت.810هـ/1408م)، الوفيات، تح. وتعليق، عادل نويهض، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، 1403هـ/1983م، ط.4.

18. ابن قنفد: أبو العباس أحمد القسنطيني (ت.810هـ/1408م)، أنس الفقير وعز الحقير، نشره وصححه، محمد الفاسي وأدولف فور، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، جامعة محمد الخامس، الرباط، د.ت.

19. ابن مرزوق: أبو عبد الله محمد الخطيب (ت.781هـ/1379)، المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، تح. ماريا خيسوس بيغيرا، تقديم محمود بوعياد، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1401هـ/1981م.

20. ابن مرزوق: أبو عبد الله محمد الخطيب (ت.781هـ/1379م)، المناقب المرزوقية، تح. سلوى الزاهري، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، المملكة المغربية، 2008م، ط.1.

21. ابن مريم: أبوعبد الله محمد بن أحمد (كان حيا سنة 1014هـ/1605م)، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، مراجعة: محمد بن أبي شنب، المطبعة الثعالبية للنشر، الجزائر، 1326هـ/ 1908م.

22. ابن منظور: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت.711هـ/1211م)، لسان العرب، دار صادر للنشر، بيروت، لبنان، د.ت،ج.9.

23. أبو حمو موسى بن زيان (ت.791هـ/1389م)، واسطة السلوك في سياسة الملوك، طبع بالمطبعة التونسية، تونس، 1379هـ/1862م.



24. إخوان الصفا (ق.4هـ/10م)، رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا، تر. أحمد زكي، دار نخبة الأخبار للنشر، مصر، القاهرة، 1419هـ/ 1998م.

25. البرزلي: أبو القاسم بن أحمد البلوي (ت. 841هـ/1438م)، جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام، تقديم وتح. محمد الحبيب الهيلة ، دار الغرب الإسلامي للنشر، بيروت، لبنان، 2002، ط.1، ج.3.

26. البكري: أبو عبيد الله (ت.487هـ/ 1094م)، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، دار الكتاب الإسلامي للنشر، مصر، القاهرة، د.ت.

27. التمبكتي: أحمد بابا (ت.1036هـ/1627م)، نيل الإبتهاج بتطريز الديباج، إشراف وتقديم: عبد الحميد عبد الله الهرامة، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، الجماهرية العربية الليبية، 1398هـ/1989م، ط.1.

28. التنسي: محمد بن عبد الله (ت.899هـ/1493م)، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، مقتطف من كتاب نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان، تح. وتعليق: محمود آغا بوعياد، دار موفم للنشر، الجزائر، 1431هـ/2011م.

29. الجزنائي: أبو الحسن علي، جني زهرة الآس في بناء مدينة فاس، تح. عبد الوهاب ابن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، 1411هـ/1991م، ط.2.

30. الجوهري: إسماعيل بن حماد، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تح. أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1410هـ/1990م، ط.4، ج.1

31. الحميري: محمد بن عبد المنعم السبتي (ت. في أواخر القرن 9هـ/15م)، الروض المعطار في خبر الأقطار، معجم جغرافي، تح. إحسان عباس، مكتبة لبنان للنشر، بيروت، 1984م، ط.2.

32. الذهبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت.748هـ/1347م)، العبر في خبر من غبر، حققه وضبطه على مخطوطتين: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية للشر، بيروت، لبنان، 1405هـ/1985م، ط.1، ج.3.

33. الزركشي: أبوعبد الله محمد بن إبراهيم (كان حيا سنة 894هـ/1488)، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تح. وتعليق، محمد ماضود، المكتبة العتيقة، تونس، 1966م، ط.2.

34. الزهري: أبو عبد الله محمد بن أبي بكر(ق.6هـ/12م)، كتاب الجغرافيا، تح. محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية للنشر، مصر، القاهرة، د.ت.

35. السقطي: أبوعبد الله محمد بن أبي محمد (ق.6هـ/12م)، في آداب الحسبة، تح. حسن الدين، مؤسسة دار الفكر الحديث للنشر، بيروت، لبنان، 1987م.

36. الشريف التلمساني: أبو عبد الله محمد (ت.771هـ/1369م)، مفتاح الوصول إلى بناء الفروع على الأصول ويليه كتاب مثارات الغلط في الأدلة، دراسة وتح. محمد علي فركوس، مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1419هـ/1998م، ط.1.

37. الشفشاوني: محمد بن عسكر الحسني (ت.986هـ/ 1578م)، دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر، تح. محمد حجي، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، المملكة المغربية، 1397هـ/ 1977م، ط.2.

38. الشيباني: عبد الرحمان بن علي (ت.944هـ/1537م)، بغية الإربة في معرفة أحكام الحسبة، تح. طلال بن جميل الرفاعي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 2002م، ط.1.

39. العبدري: أبو عبد الله محمد بن محمد (ت.725هـ/1325م)، الرحلة المغربية، تقديم: سعد بوفلاقة، منشورات بونة للبحوث والدراسات، عنابة، الجزائر، 1428هـ/2007م، ط.1.



40. العقباني: أبوعبد الله محمد بن أحمد بن قاسم (ت. 871هـ/1467م)، تحفة الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر، تح. علي الشنوفي، نشر في:

Extrait du Bulletin d ’études orientales de l’Institut Français DE DAMAS, Tome XIX 1967.

41. الفيروزابادي: مجد الدين محمد بن يعقوب (ت.817هـ/1414م)، القاموس المحيط، تح. مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، إشراف: محمد نعيم الوقسوسي، مؤسسة الرسالة للنشر، بيروت، لبنان، 1426هـ/2005م، ط.8.

42. القلقشندي: أبو العباس أحمد (ت.821هـ/1418م)، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، المطبعة الأميرية، مصر، القاهرة، 1333هـ/1915م، ج.5.

43. مارمول كربخال، إفريقيا، تر. محمد حجي وأخرون، مطابع المعارف الجديدة، الرباط، المغرب، 1409هـ/1989م، ج.2.

44. المجيلدي: أحمد بن سعيد (ت.1094هـ/1683م)، التيسير في أحكام التسعير، تح. موسى لقبال، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1401هـ/1981م، ط.2.

45. المراكشي: محي الدين عبد الواحد (ت.7هـ/13م)، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تح. محمد سعيد العريان، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، مصر، القاهرة، 1383هـ/1963م، ج.3.

46. المزاري: الآغا بن عودة، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، دراسة وتح. يحيى بوعزيز، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1410هـ/1990م، ج.1.

47. المقدسي: أبو عبد الله محمد ابن أحمد (ت. 380هـ/990م)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مطبعة بريل، مدينة ليدن، 1877م، ط. 2.



48. المقري: أحمد بن محمد التلمساني(ت.1041هـ/ 1631م)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح. إحسان عباس، دار صادر للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1408هـ/1988م، ج.7.

49. المقري: أحمد بن محمد التلمساني، أزهار الرياض في أخبار عياض، تح. مصطفى السقا وأخرون، مطبعة لجنة التأليف والترجمة للنشر، مصر، القاهرة، 1359هـ/1940م، ج.2.

50. مقيدش: محمود (ت.1228هـ/1813م)، نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، تح. علي الزواوي ومحمد محفوظ، دار الغرب الإسلامي للنشر، بيروت، لبنان، 1988م، ط.1، ج.1.

51. مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، تح. سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة، أفاق عربية، بغداد، د.ت.

52. مؤلف مجهول، زهر البستان في دولة بني زيان، السفر الثاني، تقديم وتح. عبد الحميد حاجيات، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011.

53. النويري: شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت.732هـ/1332م)، نهاية الأرب في فنون الأدب، تح. عبد المجيد ترحيني، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1425هـ/ 2004م، ط.1، ج.24.

54. الوزان: حسن بن محمد الفاسي(ت.957هـ/1552م)، وصف إفريقيا، تر. محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي للنشر، بيروت، لبنان، 1983م، ط.2، ج.2.

55. الونشريسي: أبو العباس أحمد بن يحيى (ت.914هـ/1511م)، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، تح. محمد حجي، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، المملكة المغربية، 1401هـ/1981م، ج.5.

56. ياقوت الحموي: أبو عبد الله شهاب الدين (ت. 626هـ/1228م)، معجم البلدان، دار صادر للنشر، بيروت، لبنان، 1397هـ/1977م، ج.3+ج.5.



2- المراجع:

1. أبو خليل شوقي، مصرع غرناطة، أبو عبد الله الصغير آخر ملوك بني الأحمر، دار الفكر للنشر، الحجاز، 1981، ط.2.

2. أبو مصطفى كمال، جوانب من حياة المغرب الإسلامي من خلال نوازل الونشريسي، مؤسسة شباب الجامعة للنشر، مصر، القاهرة،1998م.

3. إسماعيل محمود، إخوان الصفا رواد التنوير في الفكر العربي، دار عامر للطباعة والنشر، المنصورة، 1996، ط.1.

4. براهامي نصر الدين، تلمسان الذاكرة، نص سيدي محمد نقادي، دار ثالة للنشر، الأبيار، الجزائر، 2010م، ط.2.

5. بلعربي خالد، تاريخ الدولة الزيانية في عهد يغمراسن، دراسة تاريخية وحضارية، 633-681هـ/ 1235-1282، دار الألمعية للنشر والتوزيع، قسنطينة، الجزائر، 2011، ط.1.

6. بهلول حسن، القطاع التقليدي والتناقضات الهيكلية في الزراعة بالجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1971م.

7. بوخالفة عزي، تلمسان منارة إشعاع فكري وحضاري، دار السبيل للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011.

8. بورويبة رشيد وآخرون، الجزائر في التاريخ، العهد الإسلامي من الفتح إلى بداية العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د.ت.

9. بوزياني الدراجي، أدباء وشعراء من تلمسان، دار الأمل للدراسات والنشر والتوزيع، الجزائر، 2011م، ج.1.

10. بوزياني الدراجي، نظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانية، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 1993.



11. بوعياد محمود آغا، جوانب من حياة المغرب الأوسط 9هـ/ 15م، دار ثالة للنشر، الأبيار، الجزائر، 2011، ط.2.

12. بونابي الطاهر، التصوف في الجزائر خلال القرنين 6-7هـ/ 12-13م، نشأته، تياراته، ودوره الإجتماعي والثقافي والفكري والسياسي، دار الهدى للطباعة والنشر، عين مليلة، الجزائر، 2004م.

13. بونار رابح، المغرب العربي تاريخه وثقافته، دار الهدى للنشر، عين مليلة، الجزائر، 2000، ط.3.

14. الجمل شوقي، المغرب العربي الكبير من الفتح الإسلامي إلى الوقت الحاضر، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، 2007.

15. الجيلالي عبد الرحمان بن محمد، تاريخ الجزائر العام، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 1415هـ/1994م، ط.7، ج.2.

16. حاجيات عبد الحميد، أبو حمو موسى الزياني، حياته وأثاره، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1394هـ/1974م.

17. حاجيات عبد الحميد، تاريخ دولة بني زيان، مقتطف من كتاب العبر وكتاب تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان لابن الأحمر، دار منوبي للنشر، الجزائر، 2012.

18. حجي محمد، نظرات في النوازل الفقهية، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، سلا، المملكة المغربية، 1420هـ/ 1999م، ط.1.

19. حرز الله محمد العربي، تلمسان مهد حضارة وواحة ثقافة، دار السبيل للنشر، الجزائر، 2011، ط.1.

20. الحريري محمد عيسى، تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت، 1408هـ/ 1987م، ط.2.



21. حساني مختار، الحواضر والأمصار الإسلامية الجزائرية، دار الهدى للنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، 2011م، ج.4.

22. حساني مختار، تاريخ الدولة الزيانية، منشورات الحضارة، الجزائر، 2009، ج.3.

23. الحصري ساطع، دراسات عن مقدمة ابن خلدون، طبعة موسعة، دار الكتاب العربي للنشر، بيروت، لبنان،1387هـ/1967م، ط.2.

24. رفيق خليفي، تطور استقرار الجالية الأندلسية بالمغرب الأوسط (ق.2- 10هـ/ 8-16م)، ضمن كتاب مغرب أوسطيات، دراسات في تاريخ وحضارة الجزائر في العصر الاسلامي الوسيط، إشراف: علاوة عمارة، منشورات مكتبة اقرأ، قسنطينة، الجزائر، 2013، ط.1.

25. السلاوي: أبو العباس أحمد الناصري، الإستقصا لأخبار دول المغرب الاقصى، تح. جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب للنشر، الدار البيضاء، المغرب، 1954، ج.2.

26. سوادي محمد والحاج صالح عمار، دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، مصر، القاهرة، 2004، ط.1.

27. شاوش الحاج محمد بن رمضان، باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 2011، ج.2.

28. ضيف شوقي، عصر الدول والإمارات، الجزائر- المغرب الأقصى- موريطانيا- السودان، دار المعارف للنشر، مصر، القاهرة، 1995م، ط.1.

29. الطمار محمد بن عمرو، تلمسان عبر العصور دورها في سياسة وحضارة الجزائر، تقديم: عبد الجليل مرتاض، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 2007.

30. العبادي أحمد مختار، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، مؤسسة الشهاب الجامعية للنشر، الاسكندرية، القاهرة، 1979.



31. عبدلي لخضر، التاريخ السياسي لمملكة تلمسان في عهد بني زيان، ديوان المطبوعات الجامعية، وهران، 2007.
32. عمورة عمار، موجز تاريخ الجزائر، دار ريحانة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002، ط.1.
33. فيلالي عبد العزيز، تلمسان في العهد الزياني، دراسة سياسية، عمرانية، إجتماعية، وثقافية، دار موفم للنشر، الجزائر، 2007م، ج.1.
34. كروم عبد الله، الرحلات بإقليم توات، دراسة تاريخية وأدبية للرحلات المخطوطة بخزائن توات، دار دحلب للنشر، الجزائر، 1428هـ/2007م.
35. لقبال موسى، الحسبة المذهبية في بلاد المغرب الإسلامي، نشأتها وتطورها، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1971، ط.1.
36. محمد حسن، المدينة والبادية بإفريقية في العهد الحفصي، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة تونس الأولى، 1999م، ج.1.
37. محمود لعرج عبد العزيز، مدينة المنصورة المرينية بتلمسان، مكتبة زهراء مصر، القاهرة، 2006م، ط.1.
38. الملاح هاشم يحيى، الحسبة في الحضارة الإسلامية، منشورات المنظمة العربية للتنمية الإدارية، مصر، القاهرة، 2007.
39. مؤنس حسين، تاريخ المغرب وحضارته، مطبعة العصر الحديث، بيروت، لبنان، 1992، ط.1، ج.3.
40. الميلي محمد بن مبارك، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، تقديم وتصحيح: محمد الميلي، المؤسسة الوطنية للكتاب، بن عكنون، الجزائر، د.ت، ج.2.
41. يوسف جودت عبد الكريم، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث والرابع هجري (9-10م)، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، د.ت.

3- المراجع المعربة:

1. برنشفيك روبار، تاريخ إفريقية في العهد الحفصي، من القرن 13 إلى نهاية القرن 15، تر. حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1988،ط.1، ج.1.
2. صاري جيلالي، تلمسان الزيانية، إرهاصات ظهور الدولة الجزائرية في العصر الحديث، تر. مسعود حاج مسعود، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2011م.
3. مارسي جورج، بلاد المغرب وعلاقتها بالمغرب الإسلامي في العصور الوسطى، تر. محمود عبد الصمد هيكل، مراجعة: مصطفى أبو ضيف، منشأ المعارف الإسكندرية، مطبعة الإنتصار،1991م.
4. ماكيقيدي كولين، أطلس التاريخ الإفريقي، تر. مختار السويفي، مراجعة: محمد الغربي موسى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، القاهرة،1987م.
5. وليام ومارسي جورج، المعالم الأثرية العربية لمدينة تلمسان، تقديم وتر. مراد بلعيد وآخرون، دار الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر، 1432هـ/ 2011م.

4- المقالات والدوريات:

1. بختاوي قاسمي، التعليم بالكتاب في المغرب الأوسط أيام حكم بني عبد الواد 633-962هـ/ 1235- 1554م، دورية كان التاريخية، العدد.12، يونيو2011.
2. بلعربي خالد، الأسواق في المغرب الأوسط خلال العصر الزياني، دورية كان التاريخية، عدد.6، ديسمبر2009.
3. بلعربي خالد، المجاعات والأوبئة بتلمسان في العهد الزياني، دورية كان التاريخية، السنة الثانية، عدد.4، يونيو 2009.
4. بلعربي خالد، بنية الجهاز القضائي بالمغرب الأوسط في العهد الزياني، دورية كان التاريخية، العدد.12، يونيو 2011.



5. بلغيث محمد الأمين، الأندلسيون وآثارهم بفحص الجزائر ومتيجة، ضمن دراسات وبحوث مغاربية مهداة للدكتور موسى لقبال، إعداد وتنسيق: إسماعيل سامعي وعلاوة عمارة، إشراف: بوبة مجاني، دار بهاء الدين للنشر، قسنطينة، الجزائر، 2008، ط.1.

6. بلهواري فاطمة، النشاط الرعوي في بلاد المغرب خلال القرن الرابع هجري/العاشر ميلادي، دورية كان التاريخية، عدد8، يونيو 2010.

7. السعيدي أحمد، النوازل الفقهية والعلوم الإنسانية، علم التاريخ مثالا، دورية كان التاريخية، العدد.6، ديسمبر2009.

8. سويد نافذ، الحرفيون ودورهم في تطور المدينة العربية الإسلامية، مجلة التراث العربي، مجلة فصلية تصدر عن إتحاد الكتاب العرب، السنة.19، عدد.76، دمشق، 1420هـ/ 1999م.

9. شقرون الجيلالي، تلمسان مركز إشعاع حضاري في المغرب الأوسط، مجلة الفقه والقانون، جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس، د.ع ود.ت.

10. علوي مصطفى، الأحوال الاقتصادية للمغرب الأوسط من خل كتابات الرحالة والجغرافيين المغاربة 7- 9هـ/ 13- 15م، دورية كان التاريخية، عدد.14، ديسمبر 2011م.

11. كميل صالح شريف، النشاط الاقتصادي لغير المسلمين في الدولة الإسلامية، دراسة فقهية، مجلة جامعة النجاح الوطنية للأبحاث، عدد.15، نابلس، فلسطين، 2001م.

12. يحياوي جمال، أثار الهجرة الأندلسية على تلمسان، مجلة الوعي، عدد (3-4)، مركز ودار القران الكريم للدراسات والبحوث، الجزائر، 1432هـ/2011م.

5- *الرسائل الجامعية*:

1. بشاري لطيفة، التجارة الخارجية لتلمسان في عهد الإمارة الزيانية، من القرن الرابع إلى القرن العاشر هجري، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، جامعة الجزائر، السنة الجامعية:1986-1987م.



2. بلوط عمر، الفنادق في مدينة تلمسان الزيانية، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الآثار الإسلامية، إشراف: عبد العزيز محمود لعرج، جامعة الجزائر، السنة الجامعية 2003-2004م.

3. بن سويسي محمد، العمارة الدينية الإسلامية في منطقة توات تمنطيط، من 6-13هـ/12-19م، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، إشراف: عبد العزيز محمود لعرج، جامعة الجزائر، السنة الجامعية 1428-1429هـ/2007- 2008م.

4. بن كردرة زهية، أسواق مدينة الجزائر من الفتح الإسلامي إلى العهد العثماني من خلال المصادر، دراسة تحليلية، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الآثار الإسلامية، إشراف: ناصر الدين سعيدوني، جامعة الجزائر، السنة الجامعية، 1999،2000م.

5. شقدان بسام كامل عبد الرزاق، تلمسان في العهد الزياني (633-962هج/1235-1555م)، إشراف، هشام أبو رميله،، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 1422هـ/2002م.

6. طوهارة فؤاد، المنهج الفائق والمنهل الرائق والمعنى اللائق بآداب الموثق وأحكام الوثائق، لأبي العباس أحمد بن يحيى بن محمد بن عبد الواحد بن علي الونشريسي (ت.914هـ/1508م)، دراسة وتحقيق (أربعة أبواب من الكتاب)، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الوسيط، إشراف: عبد العزيز فيلالي، جامعة منتوري قسنطينة، السنة الجامعية، 1431- 1432هـ/ 2010- 2011م.

7. عميور سكينة، ريف المغرب الأوسط في القرنين 5و6هـ/11و12م، دراسة إقتصادية إجتماعية، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ، إشراف إبراهيم بكير بحاز، جامعة قسنطينة 02، السنة الجامعية 2012- 2013م.

8. غطاس عائشة، الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر 1700- 1830م، مقاربة إجتماعية وإقتصادية، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث، إشراف: مولاي بلحميسي، جامعة الجزائر، السنة الجامعية: 2000- 2001م.

9. قريان عبد الجليل، السياسة التعليمية للدولة الزيانية (633- 962هـ/1236- 1554م)، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الوسيط، إشراف: بوبة مجاني، جامعة منتوري، قسنطينة، السنة الجامعية: 1424- 1425هـ/2003- 2004م.

10. مرشد عبد العزيز بن محمد، نظام الحسبة في الإسلام، دراسة مقارنة، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في القضاء، اشراف: عبد العال أحمد عطوه، المعهد العالي للقضاء، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 1393هـ/1972م.

11. مزدور سمية، المجاعات والأوبئة في المغرب الأوسط (588- 927هـ/ 1192- 1520م)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، اشراف: محمد الأمين بلغيث، جامعة منتوري، قسنطينة، السنة الجامعية، 1429-1430م/ 2008- 2009م.

12. نضال مؤيد مال الله عزيز الأعرجي، الدولة المرينية في عهد السلطان يوسف بن يعقوب المريني (675- 706هـ/ 1286- 1306م)، دراسة سياسية حضارية، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي، اشراف: عبد الواحد دنون طه، جامعة الموصل، بغداد، السنة الجامعية، 1425هـ/ 2004م.

6- المعاجم والقواميس:

1. جمعية الأصالة لرعاية الفنون التراثية، موسوعة الحرف التقليدية بمدينة القاهرة التاريخية، دار الكتب العربية للنشر، مصر، القاهرة، ط.1، ج.2، 2005.

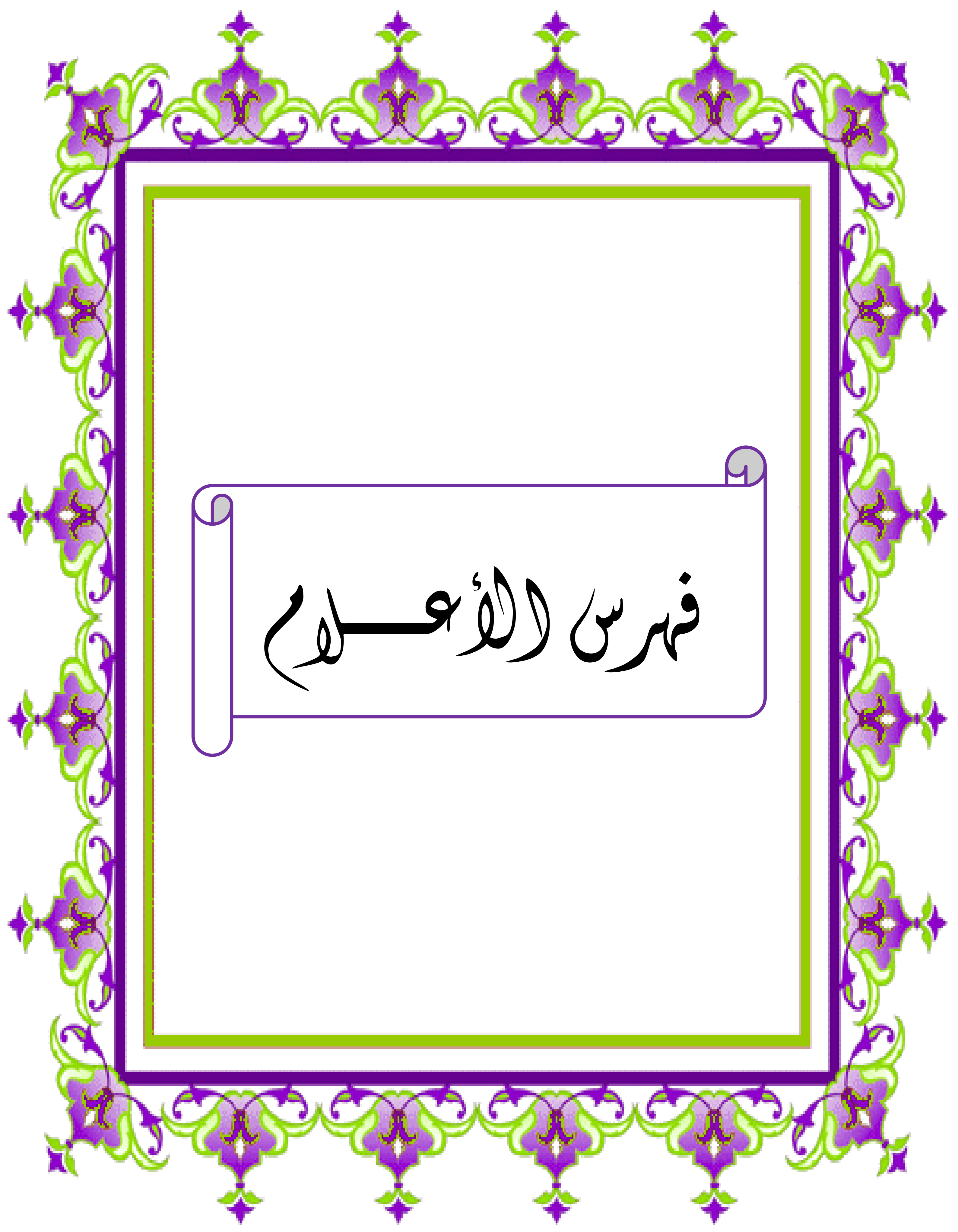
2. دوزي رينهارت، تكملة المعاجم العربية، تر.محمد سليم النعيمي، دار الرشيد للنشر، العراق، 1401هـ/1981م، ط.1، ج.6.

3. الشرباصي أحمد، المعجم الاقتصادي الإسلامي، دار الجيل للنشر، بيروت، لبنان، 1981م.

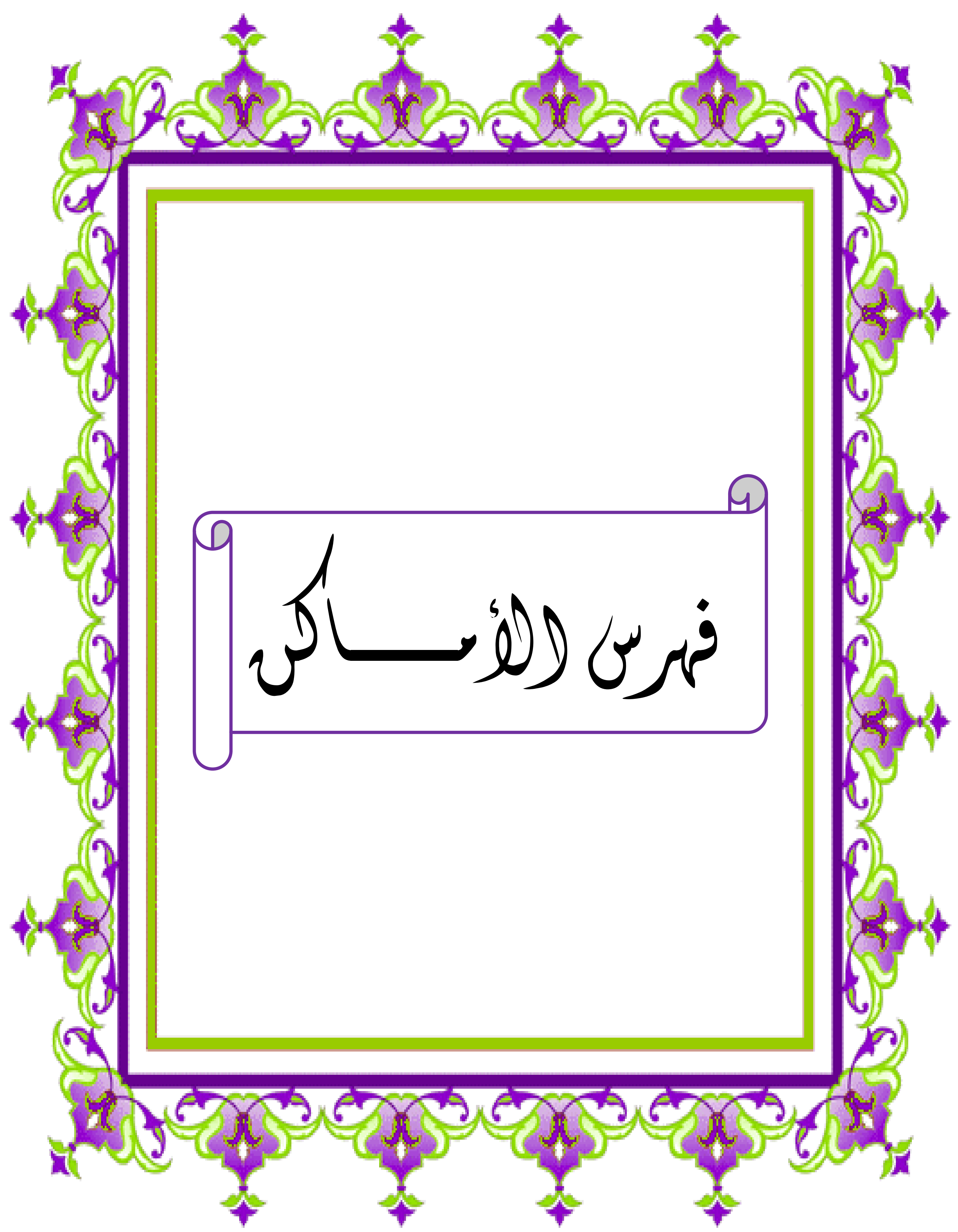
4. عمارة محمد، قاموس المصطلحات الاقتصادية في الحضارة الاسلامية، دار الشروق للنشر، بيروت، لبنان، 1413هـ/1993م، ط.1.
5. مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية للنشر، مصر، القاهرة، 1425هـ/2004م.
6. مجمع اللغة العربية، المعجم الوجيز، طبعة خاصة بوزارة التربية والتعليم، مصر، القاهرة، 1415هـ/1994م.

7- المراجع باللغة الأجنبية:

1. Atella Dhina, le Royaume Abdelouadide à l'époque d'Abou Hamou Moussa 1er et d'Abou Tachfin 1er, o.p.u, Alger, 1985.
2. Attalah Dhina, Les états l'occident musulman aux XIII et xv siècle. Institutions Gouvernementales et administratives, Office des phlications universitaires, ENAL, Alger.
3. Barges Jean-Joseph-Léandre, Tlemcen ancienne capitale du royaume de ce nom : sa topographie,son histoire et description de ses Principaux monuments anecdotes, Souvenirs d'un voyage, paris- France, 1859.
4. Charles Bosselard, Tlemcen et Tombouctou, Alger, 1861.
5. Charles Brosselard, les inscriptions arabes de Tlemcen, in Revue Africaine, Tome 5, O.P.U, Alger, 1861.
6. GUSTAVE LE BON, La civilisation des arabes, IMAG-Syracuse, Italie, 1969.


فهرس الأعلام

أ– فهرس الأعلام:


فهرس الأماكن

ب– فهرس الأماكن

فهـــرس المحتويـــات



الفصـــل الثالـــث: أنـــواع الصناعات الزيـــانية



ملخص مذكرة ماستر- الصناعات والحرف في العصر الزياني.

633- 962هـ/1236- 1554م

يعد موضوع الصناعات والحرف من بين المواضيع الجديدة والحديثة التي تستحق الدراسة، وهذه المذكرة قد احتوت على مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة.

حيث احتوى الفصل الأول على الظروف السياسية والاقتصادية للدولة الزيانية، أما الفصل الثاني فتناولت فيه النشاط الحرفي وتنظيماته داخل حدود هذه الأخيرة، أما الفصل الثالث والأخير فخصص للحديث عن أنواع الصناعات المختلفة التي كانت منتشرة في العصر الزياني. وخاتمة حوصلت فيها النتائج التي توصلت إليها من خلال هذه الدراسة القيمة. وفي الأخير تجدر الاشارة إلى أن هذا الموضوع لا يزال يحتاج إلى الكثير من الدراسات في المستقبل إنشاء الله تعالى.

Résumé de mémoire Master

Fait l'objet d'industries et l'artisanat parmi les sujets de nouveau et moderne digne d'étude, et ce Almzkrhqdahtot une introduction, trois chapitres et une conclusion.

Et contient le premier chapitre sur les conditions politiques et économiques de l'Etat Azayanih, a attrapé un second chapitre dans lequel l'activité de l'artisanat et de ses organisations à l'intérieur de celui-ci, tandis que le troisième et dernier chapitre Fajss pour parler des différents types d'industries qui prévalaient à l'époque-Zayani. Conclusion et Houselt les résultats de cette valeur de l'étude. Enfin, il convient de noter que cette question doit encore beaucoup d'études dans la future création de Dieu.



The Summary Of The Master Thesis

Is the subject of industries and crafts among the topics of new and modern worthy of study, and this Almzkrhqdahtot an introduction, three chapters and a conclusion.

And contains the first chapter on the political and economic conditions of the state Azayanih, grabbed a second chapter in which craft activity and its organizations within the borders of the latter, while the third and final chapter Fajss to talk about the different types of industries that were prevalent in the age-Zayani. Conclusion and Houselt the findings of this study value. Finally it should be noted that this issue still needs a lot of studies in the future creation of God.